قراءة نقدية في
مجموعة دموع الأمير القصصية
د/نجيب الكيلانى

إعداد
د/ محمد محمد الأخرش
الأستاذ المساعد في كلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

بسم الله، و الحمد لله، والصلاة على سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه... وبعد..

فإن في البشرية نفوساً مترعة لا تفيض إلا إذا تألمت، وقلوباً طافحة لا تسيل إلا إذا جرحت، ومن هذه النفوس الشاعرة كانت نفس الأديب الطبيب " نجيب الكيلانى "، ومن هذه القلوب الحساسة كان قلب أديبنا، جرعته الأيام كأس الآلام حتى الثمالة، وهبت به عواصف الطغيان حتى مهاوي الظلم،فشعر بالشقاء على جميع وجوهه، وشعر بالحاجة إلى الحرية في جميع مواطن الاستبداد،وكان له من مخيلته الواسعة، وبيانه الجذاب ما رفع ذلك الشعور إلى قمة الفن الرائع.،لقد عاش أديبنا هموم مجتمعه، وأمته، فسجن من أجلها، وأبدع فنًا راقيًا من أجل مستقبلها، وإيمانًا مني أنه آن الأوان كي يبرز أديب، بل أدباء إسلاميون، كي يتحدثوا لنا عن مجتمع إسلامي، ويقصوا على العالم شيئًا من أنبائه وملامحه التي لم يعرفها قط مجتمع من المجتمعات كانت دراستي لهذه المجموعة القصصية التاريخية التي جمعت مابين تراث عتيق مشرف، ومستقبل نعدُّه ليكون مشرفًا.

رحم الله الكيلانى القائل:

أريد الفن أن يلهب روح القضية الكبرى
يشكل جيلنا الحيران يذكى فكره الحرا
يطارد خيبة الأمل والإلحاد والفقرا
يفيض على الربا عدلاً ويملأ روضها برا
يترجم عن هدى الإيمان في أيامنا الحيرا

التمهيد:

الكيلانى في سطور (*).

ولد الدكتور نجيب الكيلاني في الأول من حزيران " يونيه " عام ١٩٣١م بقرية " شرشابه "إحدى قرى محافظة الغربية، وما أن بلغ الرابعة من عمره حتى أدخل كتّاب تحفيظ القرآن الكريم، وفيه تعلم الصغير القراءة والكتابة والحساب، وقدرًا من الأحاديث النبوية، وسيرة الرسول ﷺ، وقصص الأنبياء، وقصص القرآن الكريم، وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم التحق بالمدرسة الأولية، ومنها انتقل إلى مدرسة الإرسالية الأمريكية الابتدائية بقرية " سنباط " المجاورة، التابعة لمديرية الغربية، وفى أثناء مرحلة التعليم الأولى هذه لم ينقطع الصبي عن العمل بالزراعة مع الأسرة شأنه في ذلك شأن أبناء القرويين، ثم انتقل الفتى إلى مدينة طنطا – عاصمة الإقليم – ليتم تعليمه الثانوي بتفوق أتاح له الالتحاق بكلية الطب بالقصر العيني فانتقل إلى القاهرة عام (١٩٥١م) ليكون طالبًا في جامعة القاهرة، وقد جاء هذا الانتقال فارقًا في حياة نجيب الكيلانى، حيث انخرط الشاب الريفي في النشاط الطلابي المنادي بالحرية والكرامة.

الأمر الذي أدى إلى اعتقاله وهو في السنة الرابعة بالكلية، وقدم طالب الطب للمحاكمة في إحدى القضايا السياسية، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات، وإذا كانت هذه السنوات العشر قد عطلت مسيرة طالب الطب العلمية، إلا أنها أفادته من الناحية الأدبية، ففي تلك الفترة جمع نجيب الكيلانى ديوانه الشعري " أغاني الغرباء "، وكتب روايته الأولى " الطريق الطويل " والتي فازت بجائزة وزارة التربية والتعليم، ونشرتها وزارة الثقافة والإرشاد، وقدم لها وزير الثقافة آن ذاك " فتحي رضوان " ثم قررت على الصف الثاني الثانوي عام ١٩٥٩م، كما فاز نجيب الكيلانى بجائزة التراجم والسير عن كتابه " إقبال الشاعر الثائر" عام

(*) رجعت في هذه الترجمة . حياة الأديب نجيب الكيلانى . إلى " لمحات من حياتي " للكاتب، ومجلة الأدب الإسلامي العدد التاسع، والعاشر، رجب – ذو الحجة ١٤١٦هـ، ومقابلة شخصية مع بعض أفراد أسرته.

١٩٥٧م، وفى عام ١٩٥٨م فاز بعدد من جوائز وزارة التربية والتعليم في عدة مجالات منها الدراسات النفسية والاجتماعية من خلال كتابه " المجتمع المريض"، وفيه تناول مجتمع السجون، وفى السيرة فاز كتابه " شوقي في ركب الخالدين "، وفى مجال الرواية فازت قصة " في الظلام "، كما فاز بجائزة الشبان المسلمين في مجال القصة القصيرة، وفى عام ١٩٥٩م فاز الكاتب بجائزة القصة القصيرة لنادي القصة القصيرة – الذي كان يحمل اسم اتحاد الكتاب – كما حصل على الميدالية الذهبية المهداة من الدكتور طه حسين، وفى العام التالي فاز بجائزة المجلس الأعلى للرعاية والفنون والآداب عن روايته " اليوم الموعود "، والتي قررت بعد عام واحد على طلاب الثانوية العامة، وأخرجت كمسلسل إذاعي عام ١٩٧٣م في إذاعة الكويت، ثم عبر الإذاعة المصرية ولكن تحت عنوان مغاير " ياقوتة ملحمة الحب والسلام"، وفى عام ١٩٦٢م، فازت مجموعة " دموع الأمير " بجائزة القصص الإسلامي التاريخي، كما نال الكاتب في أوائل السبعينيات جائزة مجمع اللغة العربية عن روايته " قاتل حمزة "، ونال الميدالية الذهبية للعلامة الفيلسوف الشاعر "محمد إقبال" مهداة من الرئيس الباكستاني " ضياء الحق "، وتوالت الجوائز التي نالها الكاتب فذاع صيته، وطارت شهرته كاتبًا، وشاعرًا، وناقدًا، وقاصًا، وتناول عدد كبير من النقاد كتاباته بالنقد والتحليل، وقدمت عنه دراسات علمية في مصر، والأردن، والمملكة العربية السعودية، وظل نجيب الكيلانى يجاهد بالكلمة من خلال مشاركاته العديد من المؤتمرات العلمية، والإسلامية، وكان رحمه الله عضوًا فعالاً في اتحاد الكتاب، ونادى القصة بمصر، وعضوًا برابطة الأدب الإسلامي العالمية، بل يعد من أبرز مؤسسي هذه الرابطة، ولم يمنعه المرض من أداء دوره ورسالته حتى وافته المنية في السادس من مارس ١٩٩٥م، الموافق الخامس من شهر شوال عام ١٤١٥هـ رحم الله نجيب الكيلانى وأدخله فسيح جنّاته كفاء ما قدم للإسلام والعربية.

وقد دفعني إلى اختيار موضوع (قرءاة نقدية في مجموعة " دموع الأمير القصصية " لنجيب الكيلانى) لتكون موضع الدراسة عوامل منها:

– احتفال الدارسين بالرواية في أدب الكيلانى، وكذا بالمسرحية، وإغفالهم لجانب القصة القصيرة في أدب الكيلانى، مع بروز شخصيته ومهارته في هذا الفن.

قدرة الكاتب على توظيف هذا الفن في خدمة قضايا مجتمعه ودينه، وربطه الحاضر بالماضي –

وليس أدل علي ذلك مما صدر به الكاتب مجموعته " دموع الأمير " حيث قال: " وإذا كان لابد من أن أهدى هذه المجموعة القصصية – دموع الأمير – لأحد فسوف أهديها إلي هؤلاء الشباب " المؤمنين " المنافحين من أجل حرية أمتهم، والمكافحين في سبيل دينهم،..... أولئك الشباب الذين تتوالي عليّ رسائلهم من العراق.. والكويت.. وليبيا.. والمغرب العربي.. والمملكة العربية السعودية.. والبحرين، وجمهوريتنا العربية المتحدة، وغيرها في العالم الإسلامي والعربي.. إن رسائلهم الغالية قد ملأت نفسي ثقة ورضا، وجعلتني أطنن على مستقبل هذه الأمة الخالدة، وذلك الدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه...

إنهم فتيه امنوا بربهم وزدناهم هدى... إليهم أهدى هذه الصفحات المتواضعة... " (١).

فالكاتب لم يكن يكتب هذه المجموعات القصصية من باب المتعة والتسلية، وإنما كان دافعه هدف سامٍ يتعلق بالوطن والدين، وقد دفعني هذا إلى محاولة الكشف عن الجوانب الموضوعية والفنية المميزة لهذه القصص، لأثبت أن سمو الهدف، ونبل الغاية، لا يتعارضان مع فنيه القصة، أو يحدّان من قدرات المبدع.

وكان في نيتي أن تكون هذه الدراسة بعنوان " الاتجاهات الفنية في قصص نجيب الكيلانى القصيرة " خاصة أن للكاتب أربع مجموعات قصصية (دموع الأمير، موعدنا غدًا، العالم الضيق، عند الرحيل)

وقد حاولت العثور على هذه المجموعات، لأنها تمثل عماد البحث، فلم

(١) مقدمة مجموعة " دموع الأمير " القصصية صـ٩ ط مكتبه وهبة ١٩٦٢م.

أظفر بطائل لا في دار الكتب المصرية، ولا في بيت المؤلف، ولكن إخفاقي في العثور على هذه المجموعات القصصية لم يفت من عزيمتي، أو يحول بيني وبين دراسة القصة القصيرة في أدب نجيب الكيلانى،و كما يقولون " ما لا يدرك كله، لا يترك كله "، ومن هنا عقدت النية أن تكون مجموعة – دموع الأمير – التي عثرت عليها أُنموذجًا أقيم عليه الدراسة.

ولكن فنية البحث العلمي اقتضت أن يتم تغيير العنوان ليكون " قراءة نقدية في مجموعة دموع الأمير القصصية " للدكتور نجيب الكيلانى.

وقد جاءت الدراسة على النحو التالي...

أولاً: تمهيد يتناول سيرة الكاتب بإيجاز، مع بيان الدوافع التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، والخطة التي احتواها.

ثانيـًا: الدراسة الموضوعية " الملامح الموضوعية للتجربة القصصية في مجموعة دموع الأمير "

وقد عرضت من خلال هذه الدراسة الموضوعية لأبرز القضايا الموضوعية التي تناولتها المجموعة مثل " العدالة الاجتماعية "، " دور العلماء في مواجهة جور السلطان "، " ألوان الجهاد كما جسدته مجموعة دموع الأمير".

ثالثـًا: الدراسة الفنية، وفيها تناولت أبرز جماليات القصص من خلال الحديث عن " الشخصيات، الحوار، الرمز، الزمان والمكان..".

رابعًا: النتائج التي توصل إليها البحث.

خامسًا: المصادر والمراجع.

والحمد لله رب العالمين، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدراسة الموضوعية
" الملامح الموضوعية للتجربة القصصية في مجموعة دموع الأمير "

- العدالة الاجتماعية
- دور العلماء في مواجهة جور السلطان.
- صور الجهاد كما جسدته مجموعة دموع الأمير.

الدراسة الموضوعية

(الملامح الموضوعية للتجربة القصصية في مجموعة دموع الأمير)

١- (العدالة الاجتماعية)

إن رؤية الأديب هي التي تتحكم في اختيار موضوعه، كما تتحكم في اختيار جزيئات هذا الموضوع مما يؤثر بدوره على بناء العمل الأدبي. (١).

والحق أن استلهام الكاتب للتراث في شتى مصادره، وتوظيفه في التعبير عما يريد يمثل عاملا قويـًا من عوامل بعث الأدب، وازدهاره، لأن المعطيات التراثية تكتسب لونـًا من القداسة في وجدان الأمة، فالكاتب يتوسل إلى وجدانها بأقوى الوسائل تأثيرًا ويضفى على تجربته نوعًا من الأصالة الفنية عن طريق الشمول حيث تتخطى حاجز الزمن ليبعث من خلالها خواطره وأفكاره (٢).

ولعل نظرة إلى الإهداء الذي جاء في مقدمة المجموعة يفسر لنا ما يرمى إليه الكاتب، فقد أهدى مجموعته إلى شباب الأمة " هؤلاء الشباب المؤمنين المنافحين من أجل حرية أمتهم، والمكافحين في سبيل دينهم. (٣).

فاختيار الموضوع، وتوظيف الحدث لخدمة قضايا المجتمع يعدّ من أسمى أهداف الكاتب، وهذا أمر طبيعي لأن اختيار الكاتب لموضوعات قصصه، ومواقفها، ومدى ملائمة ذلك للأحداث التي تجرى في مجتمعه فيه إشارة منه إلى إيمانه بالمجتمع، وبقضاياه، والإنسان العادي في هذا المجتمع، وبمشكلاته المعاصرة... وفى ذلك استجابة تلقائية للواقع الذي يعيشه الكاتب من حيث ارتباط

---

(١) الروائي والأرض د/عبد المحسن طه بدر، صـ ٦ ط دار المعارف بالقاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٣م.

(٢) راجع في النقد المسرحي د/محمد غنيمى هلال صـ٩١ دار نهضة مصر ط سنة ١٩٥٥م، واستخدام الشخصية التراثية د/على زايد العشري صـ١٠، المسرح الشعري بعد شوقي د/محمد عبد العزيز الموافي صـ١٦.

(٣) مقدمة مجموعة "دموع الأمير" د/نجيب الكيلانى صـ٩.

هذه المجموعات بالمجتمع ارتباطًا حيًّا جعل منها مرآة تنعكس عليها بعض قضايا المجتمع ومشكلاته، فقد يتخذ الأديب من طبائع الأشياء وحقائقها مادة لأدبه، وموضوعًا لنتاجه.. (١).

ويرى الدكتور " محمد يوسف نجم " أن عظمة الكاتب تنبع أساسًا من حسن اختيار الموضوع ويتضح ذلك من قوله: " ومهما يكن الأمر فإن المبدأ الذي نقرره يبقي ثابتا هنا، وهو أن العظمة الحقيقية في القصة تعتمد على عظمة موضوعها... (٢).

والممعن في مجموعة " دموع الأمير القصصية " يدرك حرص الكاتب على الغوص في أعماق الإنسان باعتباره فردًا فى المجتمع له أحلامه الخاصة، ومأساته المنفردة، وبقدر ما ترى من انشغال الكاتب بقضايا أمته.

حيث إن هموم الوطن وقضاياه تمثل العمود الفقري في اختيار الكاتب لموضوعاته، ولألفاظه، وأبطال قصصه، إلا أن المجموعة القصصية – دموع الأمير – تجمع إلى جانب ذلك رؤاه الإبداعية، حيث يمكننا القول أن رؤاه الإبداعية تسبح في فلك المعاناة الإنسانية، وتسلط الأضواء على صغائر الأمور وكبيرها، ليكشف الكاتب من خلالها على القضايا الوطنية والإنسانية التي تشغله، ومن خلال متابعة موضوعات هذه المجموعة القصصية نلمس أن الكاتب أقام موضوعاته على عدة محاور، منها ما يتناول قضية العدالة الاجتماعية، ومنها ما يتناول دور العلماء في مجابهة السلاطين، وما يتعلق بألوان الجهاد سواء ما كان في صدر الإسلام، أو في العصر الحديث، مرورا بالعصرين الأموي والعباسي، فالمجموعة تتناول موضوعات تتعلق بقضايا اجتماعية وتاريخية، وإنسانية، وسياسية، ففي قصة " دموع الأمير " – التي تحمل المجموعة اسمها – نجد الكاتب يسلط الأضواء على جانب من حكم بني أمية، يتمثل في اضطهاد حكام

(١) المرايا المتجاورة دراسة فى نقد د/طه حسين للدكتور جابر عصفور صـ٣٠٩ ط أحياء دار قباء للطباعة سنة ١٩٨٩م.

(٢) فن القصة القصيرة د/محمد يوسف نجم صـ٦٦ ط دار ثقافة لبنان.

بني أمية لآل البيت خاصة أبناء علىّ – كرم الله وجهه – وحفدته، ويختار الكاتب لتصوير هذا الاضطهاد السياسي موقف "هشام المخزومي" – والي المدينة المنورة – من " زين العابدين بن الحسن بن علىّ " وكما اختار الكاتب الحدث، اختار العنوان المعبر عن الموضوع – دموع الأمير – حيث وظفه في خدمه الحدث، وجعله دعامة أساسية لحركة جميع الشخصيات في القصة، واحتكاك بعضها ببعض بحيث أصبح مدلول الدموع مساهمًا في نمو الأحداث، وتطور الشخصيات، والكشف عن جوانبها، ويتضح ذلك من وصف الكاتب لشخصية هشام المخزومي، فبرغم كون القصة تاريخية تجعل الكاتب محكومًا بأحداث واقعية إلا أن الكاتب أضفى عليها من خياله ما جعلها شخصية مرنة تنبض بالحياة، فقد كان يصوغ الظروف والملابسات الفاعلة في هذه الواقعة صياغة لغوية خاصة مازجًا بين التاريخ والفن، عندما يجعل المتناقضات تحتك في داخل الشخصية وتتصارع مابين الماضي والحاضر، والكاتب الموهوب هو الذي يختار من الأحداث التاريخية ما يشف عن حاضره، فمن ثنايا الماضي يصور جوانب الحاضر، ليبعث من ذلك مسائل وآراء لها سلطان الماضي من الإساغة والاحتمال، ولها صيغة الحاضر فى جلاء القيم الإنسانية أو الدعوة إلى التغيير، ومن هنا جاء وصف الكاتب لهشام المخزومي بأنه شديد التوتر، فالقصة تصور حالة الظالم عندما يركن إلى فراش نومه، حيث لا يرقأ له جفن فبرغم ما يحيط به من خدم، وحشم، ورائحة شذية تضوع فى جنباته، وحجر مفروشة بالأثاث الجميل الذي يتناسب مع عظمة والى المدينة ".. إلا أن الفرش الحريرية تبدو وكأنها أشواك حادة تنغرز في جسده، والمصابيح الزيتية التي تضيء الحجرة بدت هي الأخرى، وكأنها عيون فضولية تختلس إليه النظر، وتتسلل إلى حنايا نفسه، وخبايا ضميره.." (١).

(١) قصة دموع الأمير صـ ١٢.

وهكذا ومنذ بداية القصة يستخدم الكاتب الأسلوب التصويري في تجسيد الموضوع، وتحريك الأحداث وإضافة الحيوية إلي روح الحدث حتى لا تصبح الشخصية التاريخية جامدة،ومن هنا جاء وصف الكاتب "لهشام المخزومي " فهو لا يرتاح في مضجعه، ولا يحب النور،و يركن دائماً إلي الظلام، ولكن الظلام سواء النفسي أم الحسي لن يأتي إلا بعواقب وخيمة، ولذا يثب هشام من فوق السرير ويطفئ الشموع والمصابيح كل واحد بنفخه واحده أو دعها كل ما في قلبه من قلق، وضيق قائلا:

((ما أروع الظلام إنه شيء متجانس، غامض لا تصطدم العين فيه بشئ، لا مصابيح مرتعشة، ولا ظلال متراقصة علي الحيطان، ولا ستائر ملونه، لاشئ، لا شيء أراه سوي السواد المتجانس الممتد الذي ترتاح إليه نفسي،أما النور فإنه يعريني جسدا وروحا،ويثب هشام مره ثانيه من فوق سريره مذعورا لم يتمالك نفسه، أو يضبط أعصابه، فانكفأ علي وجهه واصطدمت جبهته بصوان كبير علي ميمنة السرير فشجت رأسه وسال الدم علي وجهه ساخناً))[1]. وإذا كان التوتر والقلق وعدم القدرة علي التمتع بنعم الحياة نوعا من العقاب النفسي للظالم، فإن الكاتب يبرز أن هناك عقابا ماديا أخر فلابد للظالم من يوم ترد فيه المظالم فإن الله يملي للظالم حتي إذا أخذه لم يفلته إن أخذه كان أليماً شديداً.

فالقصاص من الظالم انتصار للحق، وقد تمثل ذلك في ولاية عمر بن عبد العزيز للمدينة من قبل الخليفة الجديدة ـ الوليد بن عبد الملك ـ حيث لم يكتف الخليفة بعزل هشام، وتوليه عمر، بل زاد علي ذلك الأمر بالقصاص من هشام إذ ناد مناد في شوارع المدينة "ياأهل المدينة، لقد أمر الخليفة بعزل هشام وأن يقف أمام دار مروان ليقتص منه كل من أذاه شتمة بشتمة،ولعنة بلعنة، ولطمة

(١) قصة دموع الأمير مجموعه دموع الأمير صـ١٧.

بلطمة..... [1].

وإذا كانت القيم الإنسانية تقتضي معاقبة الظالم فإن هناك قيماً أسمي تتمثل في الصفح والعفو عند المقدرة " وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم "[2]، ولما كان موضوع القصة يتعلق بالحرية والعدالة الاجتماعية فقد ختم الكاتب قصته ببيان قيمة التسامح، وعظمة المظلوم حين تواتيه الفرصة للانتقام فتعلو نفسه،ليكون الصفح والغفران بدلا من الشماتة والانتقام، ويتضح ذلك من تصوير الكاتب لموقف زين العابدين بن علي من هشام المخزومي... "وفي الصباح كان هشام يقف متخاذلا زاهلاُ أمام دار مروان، والآلاف من سكان المدينة يمرون عليه صفعة بصفعة، وعبد أسود يرفع سوطه ثم يهوي عليه، وعليه ابتسامة ساخرة نفس الكأس السوداء التي سقاها للناس، كأس الظلم والعسف.... ولكن هل يقف الأمر عند هذا الحد ؟؟ أين زين العابدين بن علي ؟ أين أهل البيت ومواليهم ؟ لابد أنهم سوف يقتلونه لطالما أذاقهم الهوان والعذاب.... وانتصف النهار ثم اصفهر الأصيل... وساد الأفق شحوب ووجوم، وغبار وعندئذ رأي الناس زين العابدين قد جاء جمع حافل من مواليه،وأهل بيته فأوجس هشام خيفة، وخيل إليه أن الموت يدنو منه مع كل خطوه يخطوها زين العابدين، فلما كان أمامه ـ واستسلم هشام لليأس، وبلغت روحه الحلقوم، قال زين العابدين:–

. السلام عليك يا هشام

ومد يده إليه وصافحه، ويهز يده ويمسك بها، ومد هشام يده، ثم أسلم نفسه إليه، وخفض رأسه وبكي، وقال زين العابدين

. إن كانت لك حاجه نقضيها لك، وإن كان عليك دين من ولايتك فإنا نسد دينك، وأجهش هشام بالبكاء لتزفت دموع الأمير ساخنة فوق خديه...[3].

(١) قصة دموع الأمير صـ٣٩.

(٢) سورة النور الآية ٢٢.

(٣) دموع الأمير صـ٤٢.

وهكذا ارتبط البكاء في القصة من بدايتها إلي نهايتها، فإذا كان في بداية القصة يمثل بكاء الإحساس بالظلم فإنه في نهايتها يمثل بكاء الندم.

وإذا كانت قصه " دموع الأمير" تمثل جانبا من جوانب الخلل الاجتماعي المتمثل في سلب الحرية، وعدم احترام حرية الرأي الأخر.

فإن قصتي " القلب الكبير " و "رجل في المنفي " تمثلان الجانب الأخر للعدالة الاجتماعية والمتمثل في حق الفقير في عيش كريم يحفظ له إنسانيته، ففي قصه " القلب الكبير "يصور لنا الكاتب موقف "عبد الله بن المبارك " من الفتاه الفقيرة،فقد كان من عادة الرجل أن يحج عاما ويمكث في موطنه عاما وكان من ديدنه أن يقوم بالإنفاق علي من معه خاصة الفقراء منهم، وفي وقفه من وقفات الراحة يري الشيخ عبد الله بن المبارك فتاه تمسك بطائر ميت ألقاه أحد رفقاء الرحلة، فيتعجب من أمرها، ويتبعها ليري ماذا تفعل بطائر ميت، وهنا يكتشف الحقيقة المروعة، إن الفتاة لا تملك إلا نفسها وأخاها حيث قتل الأب ظلماُ، وأصبح الطفلان بلا راع، ولذا لم تجد غير الميتة طعاماُ، لقد أذهل الموقف هذا الرجل المبارك فوقف شارد اللب كان يفكر في أمر هذه الفتاة، وفي أمر نفسه أيضاُ انه يحج إلي بيت الله ويصحب معه قافلة طويلة، يغدق عليها، ويتصدق علي فقرائها، ومثل هذه الفتاه المسكينة تعيش مع أخيها ولا تجد ما تأكله سوي الميتة.. وأبوها قتيل مظلوم، حياتها فراغ.. ووحشه.. وخوف، وبطنها فارغ، أما هو ما أبشع الفارق بينه وبينها.. وظلت تطوف برأسه صور حزينة محرقه، صورة الخائفين المتلهفين إلي طعام، وصورة المظلومين الذين طال شوقهم إلي العدل،وآلاف الدموع التي تسفح كل مساء في أكواخ أشبه بالمقابر، وأقوام يعيشون موتي، ويدفنون أحياء تطويهم وتنشرهم أمواج العذاب.... واختلجت أجفان ابن المبارك وبكي كما لم يبكِ قط في حياته، بل خجل من نفسه – وهو الإنسان الكبير –وتضاءل أمام تلك الخائفة الشاحبة التي تمسك في يدها طائراً ميتاً وتتشبث به.. وصاح ابن المبارك بحرقة

. اذهب وأحضر وكيلي حالا

. السمع والطاعة يا شيخي الجليل

. اذهب. نحن غافلون

وما هي إلا دقائق حتى كان الرجل حاضراً وسأله ابن المبارك:-

. ماذا معك من مال ؟

. ألف دينار ياسيدي الشيخ

. ابق منها عشرين.. وأعطني الباقي

وتناول ابن المبارك المال من يد وكيله، ثم أقبل علي الفتاه في تودد وإشراق إليكِ يا فتاتي هذا المال، لعله يعينكِ في محنتكِ القاسية ويمنعكِ من أن تأكلي الميتة... اذهبي إلي أخيكِ.. واشتري له طعاماً وكساءًا... وأغناماً... والله يرعاكما.. وصاح موجهاً حديثه إلي الرجال:

. شدوا الرحال أيها الرجال، إننا عائدون من حيث أتينا... وموعدنا العام القادم إن شاء الله....." (١).

ولعل قصه " القلب الكبير "تعد لونا من ألوان الجهاد يتمثل في الجهاد بالمال لإحداث نوعا من التكافل الاجتماعي،فإبن المبارك يتصدق بمال القافلة علي تلك الفتاه الفقيرة، ولا يبقي من المال إلا بمقدار ما يعينهم علي العودة، ويعدل عن الحج الذي خرج من أجله، وكأني بهذه القصة تشير – فيما تشير – إلي أن الفن قد يكون وسيله لاكتشاف الحقيقة ولذا " يعد العمل الأدبي في حقيقته شكلا من أشكال المعرفة، ووسيلة لعرض نوع من التبصر في الوضع الإنساني لا يتيسر التعبير عنه بأي وسيله أخري.." (٢).

وإذا كان الكاتب قد فجر قضية العدالة الاجتماعية من خلال موازنة " عبد

(١) قصة " القلب الكبير" من مجموعة " دموع الأمير " صـ٥٢.

(٢) مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ديفيد دتش ترجمه د/محمد يوسف نجم صـ٧٩ ط دار صادر بيروت..

الله بن المبارك " بين أولوية تكملة رحلة الحج أوسد رمق الفقير الذي أعوذته الحاجة إلى أكل الميتة، وينتصر لحق الفقراء، ولقضية العدالة الاجتماعية، مع أن الكفة المقابلة تحتل ركنًا من أركان الدين، فإنه في قضية " رجل في المنفى " يجعل القضية الأساسية لبطل القصة والموضوع الذي تدور حوله القصة يتمثل في كيفية حصول الفقراء على حقوقهم، وقد صرح الكاتب في مطلع القصة بأن حق الفقراء هو ما يشغل بال بطل القصة حيث يقف أبو ذر الغفاري مع لفيف من محبيه الذين التفوا حوله فى حلقة المسجد قائلا:" أيها الفقراء – علمني حبيبي رسول الله أن أقول الحق، ولو كان مرّا، أيها الفقراء إن لكم حقاً في أموال الأغنياء...

أجل إنه حق مشروع وليس تفضلا وتصدقًا منهم.. أيها الفقراء.. إن لكم حقًا، وأموال الدولة هى أموالكم.. ما جمعها الحكام إلا من اجل رفاهيتكم لتعيشوا حياة هانئة سعيدة، حياة تستحقونها كبشر " [1].

ولمزيد من تسليط الضوء على هذه القضية، ولإدخالها حيز التنفيذ لا الشعارات يقف أبو ذر مخاطبًا معاوية بن أبى سفيان طالبا منه تفعيل العدالة، ويحاول معاوية بما عرف عنه من ذكاء أن يميع القضية مشيرًا إلى أن الله خلق الناس ليكوّنوا طبقات فلا بد من فقير وغنى، بل يحاول أن يذيق أبا ذر طعم الرفاهية علّه يتراجع عن موقفه فيقدم له مؤدبة طعام تظفر بما لذّ وطاب " فيرى أبو ذر ما لم ير في حياته آرائك فخمة ثمينة ذات ألوان.. وستائر حريرية تهتز هزّات خفيفة مع نسيم هادئ.. و خوان طويل عليه ألوان من الطعام.. وعلى الفور وثب إلي ذهن . أبي ذر – صورة القصعة والثريد،ولبن الشاه العجفاء، وقليل من التمر في مخلاة، وآلاف الفقراء يمضغون لقيمات جافه كي تقيم أودهم، وتعينهم علي مشاق الحياة...ونذكر تلك الفتاه الشاحبة ذات اليد المعروقة التي

(١) رجل فى المنفى مجموعة " دموع الأمير " صـ١٥٩.

تنام علي حصيره مهراه، ونوبات السعال ترعش جسدها الضامر وتهز عودها النحيف هزا عنيفا لا رحمه فيه، ولا هوادة،ويقطع مصاريه على أبى زر خواطره، ويطلب منه أن يتناول الطعام فقد عدّ له خصيصا،لكنه يفرض قائلا:

– إن آلافا غيره في حاجه إلى كسرة خبز تسد جوعهم..... وأحس وأنا أكل هذا الطعام كأني اسرقه منهم.... يا أبى زر انك تؤلب الفقراء، حتى ضج الأغنياء، وشكوا أمرك إلينا.... لأنك تهدد مصالحهم بالبوار والخراب.. – فسارع أبو ذر قائلا: " إني أنهاكم عن الكنز.." (١). (١)

ويستمر أبو ذر في الدفاع عن قضيته لا يشغله عنها أخص خصوصياته،ولو كانت ابنته، حيث لم يزيده هذا الأمر إلا مزيد من الدعوات والمناداة بالعدالة الاجتماعية ".. وبلغ أبو ذر الزقاق الذي يدنو من الباب، وألف إلى راحة البيت الصغير، وقصد من فوره إلي الحجرة الضيقة التي ترقد فيها ابنته العليلة،ووقع بصره عليها ترقد ساكنه لا حركه ولا نفس، وقابلة أمها بالشهقات والدموع..ماتت ماتت...وتمتم أبو ذر إنا لله وإنا إليه راجعون.....ونامت العيون وبقيت عين أبو ذر وزوجته يذرفان الدموع وأيديهما ترتفعان إلى السماء... ولم يكد يمرّ وقت طويل حتى رد عثمان بن عفان على رسالة معاوية قائلا" جهز أبا زر إليّ وابعث معه دليلا، وزوده وأرفق به، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت "(٢).

٢. دور العلماء في مواجهة جور السلطان:

وفى محور آخر من المحاور الموضوعية التى قامت عليها المجموعة القصصية " دموع الأمير " يتناول الكاتب قضية العالم الفقيه، وموقفه من السلطان الجائر، وكذلك دوره فى إعداد الأمة لمواجهة أعدائها.

ويتضح ذلك فى قصص (العرش المحطم، سلطان العلماء، على أبواب

(١) رجل في المنفى صـ ١٧٠وما بعدها موت ابنته جوعا ومرضا.

(٢) المرجع السابق صـ١٧٦.

دمشق، الإمام الأعظم.." ففي قصة " العرش المحطم " يتناول الكاتب صورة من صور جهر العلماء بكلمة الحق فى وجه السلطان، وعلى خلاف ما يهوى الحاكم، لقد كان جرم الشيخ " إبراهيم " أنه عالم يجهر بالحق، فقد كان يصرح بما يعتمل فى صدره لمستمعي دروسه فى المسجد، فالرجل لا يناهض السلطان، وأبعد ما يكون عن التآمر، إلا أن جواسيس السلطان، والمتزليفين نقلوا للسلطان ما لم يتطرق إلى فكر الشيخ "... وحينما سأل السلطان من حوله من العلماء عن الشيخ إبراهيم، سارع أحدهم قائلاً:

- الحق يا مولاي أن أمثال الشيخ إبراهيم من المتحذلقين ما هم إلا عقبة كؤود فى طريق كل تقدم، ونغمة شاذة تؤذى السمع..." (١).

وما إن سمع السلطان حديث من حوله، حتى توجس خيفة، وماهى إلا ساعات حتى بعث السلطان فى طلب الشيخ إبراهيم، وبعث إليه الجند ليأتوا به مقيدًا، "... وأقبل الشيخ تحيط به كوكبة من عساكر السلطان، ليقابله فى أمر ذي بال، واقتيد الشيخ إلى السلطان بالداخل، بينما بقى ابنه سعدان فى الخارج، ورأى الشيخ خليفة المسلمين محاطًا بالأبهة والعظمة، وحوله بعض العلماء الرسميين يجلسون فى خشوع ورهبة، وكأنهم فئران مذعورة فقدم الشيخ للسلطان ولهم فروض الطاعة والولاء، وحياهم بتحية الإسلام، فلم يسمع غير صدى تحيته، وأطل بنظراته ليرى عبد الحميد مكفهر الوجه، غاضب النظرات...." (٢).

فالمواجهة هنا بين السلطان وعالم لا يتراجع عن قول الحق، ويتضح ذلك من الحوار الذى دار بين الشيخ إبراهيم، والسلطان عبد الحميد.." مالذى أغضبك منّا حتى تُهيج علينا شعور الدهماء، وتُثير من حولنا حقد الناس؟

– عفوًا يا مولاي إني لم آت ما يعتبر جرمًا...فاستشاط السلطان غضبًا

(١) قصة العرش المحطم من مجموعة دمع الأمير صـ٦٧.

(٢) العرش المحطم صـ٦٨.

– هذا هراء.. إنك تخدعني.. وتكذب علىّ.. واستبد بالسلطان السخط فتناول أصيصًا زجاجيًا كان أمامه، وقذف به في وجه الشيخ فشج رأسه، وأسال دمه، دون أن يتفوه أحد الجالسين بكلمة. وبعد حوار طويل وضح للشيخ من خلاله مدى فجور السلطان وظلمه، وان لا مناص من مواجهته بحقيقته...

– إن ملكا هذا شأنه، وتلك سياسته، مصيره إلى الزوال، ولن تجدى سطوة، أو تنفع قوة، أو تحميه من المصير المحتوم أي قوة أو عصبة آثمة من العلماء الضعفاء..

–.. لقد اصبح الإسلام رسومًا باليه، وصارت المثل والمبادئ ضربًا من الهزيان، وأصبح الضحايا المظلومون قناطرة للمآرب والمنافع، ولهذا تناوشتنا الدول وحاكت لنا المناورات... فالويل لكل مفرّط فى حق الدين والوطن... وما أن انتهى الشيخ من كلامه حتى صاح السلطان.. اقتلوه، اقتلوه شر قتلة.. مثلوا به أشنع تمثيل... (١).

وهكذا قتل الشيخ الجليل دفاعًا عن كلمة الحق، وقد كان كما وصفه الكاتب " كان الشيخ الشهيد.. من خيرة علماء الآستانة، وعلى الرغم من حاله المتواضع، وعلمه الغزير، فقد كان قنوعًا كريم النفس يعفُّ عن الحرام، ولا يتزلف إلى أرباب السلطان، فعاش بين معارفه موضع الحب والتقدير، ولم يكن يبغى من دنياه إلا أن يحفظ له زوجه التقية الطاهرة، وفلذة كبده سعدان"(٢).

ولما كان الهدف الأول من القصة يتمثل في بيان قيمة مجابهة العلماء لجور الحكام، وكيف أدى جور الحكام إلى زوال ملكهم. كان لا بد وأن يشير الكاتب فى نهاية القصة إلى ما آل إليه أمر السلطان عبد الحميد، حيث لم يمر على مقتل الشيخ ابراهيم سوى " سنوات قلائل وانهار حكم آل عثمان علي أثرها

(١) العرش المحطم صـ ١٠٢.

(٢) العرش المحطم صـ ٩٦.

إلي الأبد، وقذف بعبد الحميد بعيدا عن كرسي الخلافة، وتحطم العرش المجيد الذي ملأ الدنيا والتاريخ ضجيجاً لا ينتهي ابد الدهر...." (١).

ومن القصص التي دارت في محور " قول الحق في وجه سلطان جائر" قصة " سلطان العلماء"،فالقصة تدور في محورين الأول: الجهر بالحق في وجه سلطان ظالم، والمحور الثاني إعداد الأمة لمجابهة أعدائها.

أما عن المحور الأول فقد جسده ا لكاتب من خلال هذه المحاورة التي دارت بين " العز بن عبد السلام وأسرته " حيث يقول العز: "هذه الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضه..... وكلمة الحق فريضة، فإذا كانت كذلك بالنسبة لعامة المسلمين، فما بالكم بالعلماء ؟.... ومماالأة أعداء الدين جرم أي جرم... وسلطان دمشق قد خان الأمانة، وخالف أصلا من أصول الدين...

وانتم يا أهل بيتي خير من يفهمني، ويفهم أن رسالة العالم، وحقيقة الإيمان تأبي السكوت علي هذا الضيم

.... ولذا قررت أن أخوض المعركة ضد الصالح إسماعيل وضد الفرنجة...."

وامسك الشيخ عن الحديث، بينما ران علي الجميع صمت عميق قطعه الشيخ قائلا:

. فماذا ترون....؟

وغمغم ابنه عبد اللطيف !

. انك يا أبت اضعف من تتحدي السلطان، أو تشهر في وجه أنصاره سيفا...

فأسرع الشيخ قائلا في حدّه:-

غفر الله لك يا بني.. إن كلمه وحدها جيش كامل العدة والعتاد... وقد

(١) مرجع السابق صـ١٠٣.

قررت أن أقولها.... أتحسب أن أباك يحرص علي حياته ومنصبه ؟....." [١].

وهكذا اعدُّ " العز " بيته الصغير لأمر هام، فهو يعلم أن ظلم السلطان لن يقف عند " العز "، ولكنه سيطول أفراد بيته، فكانت هذه الجلسة بمثابة الإعداد النفسي لما هو قادم، ولذا بعد أن استوثق من قوه بيته وقدرتها علي الجهاد.

، ومشي سلطان العلماء " العز بن عبد السلام " في شوارع دمشق يجهر بفتواه " إن من يتعامل مع الفرنجة المعتدين فهو آثم.... ومن يبيع لهم السلاح أو القوت فهو أثم... والاستعانة بهم علي إخواننا في مصر ذنب كبير.... وصدر أمر السلطان باعتقاله في بيته فلا يزور ولا يزار....

وعزله من الخطابة في مسجد دمشق، ومن التدريس أيضاً، فلا إفتاء ولا وعظ...." [٢].

وحاول السلطان بكل السبل إثناء الشيخ عن موقفه بالترهيب أحيانا، وبالترغيب حينا لكنه كان يئوب بالفشل فلا السجن حال بين الشيخ وبين دعواته التي يتلقفها الناس فتسري بينهم كالنار في الهشيم، ولا محاوله الإغراق حيث يرسل إليه رسالة تبلغه إن بينك وبين العودة الي مناصبك، بل ترقي إلي ما هو اعلي من ذالك، لا عليك إلا أن تقبل يدي السلطان، ولا حرج في ذالك فهو ولي الأمر " فابتسم الشيخ في سخريه مرة ثم قال دون وجل أو إبطاء

- والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلا من أن أقبل يده، يا قوم انتم في وادي ونحن في واد الحمد الله الذي عفانا مما ابتلا كم به..... افعلوا ما بدى لكم.... وبقي الشيخ في أسره ومن حوله الحراس والعيون، وشبح الموت يحوم فوق خيمته في كل لحظه...." [٣].

لقد كان لفتاوى الشيخ أثرها في إعداد الأمة، وانتصار الجيوش المصرية

(١) سلطان العلماء "م " دموع الأمير صـ١٣١.

(٢) المرجع السابق صـ ١٣٣.

(٣) المرجع السابق صـ ١٣٣.

بقياده الملك" نجم الدين أيوب" الذي تعقب فلول الفرنجة، وما بقي من جنود الملك الصالح الناصر للفرنجة حتى وصل إلي بيت المقدس فحررها، وذهب إلي خيمة "سلطان العلماء العز بن عبد السلام" ليخرجه من سجنه معززا مكرما

ويصور الكاتب هذا المشهد فيقول: " وزحف موكب الحرية والنصر إلي المدينة الخالدة دمشق ليبعث فيها الحياة والحب والأمل من جديد..... أما الشيخ فظل في سجنه الصغير يقف وعيناه مشدودتان إلي السماء، مخضلتان

بالدموع، دموع الشكر والاعتراف الجميل وأحس وهو مستغرق في ابتهالاته بيدي تمسح علي كتفه في حنان وتقدير:

- أيها الشيخ الجليل...يا سلطان العلماء الطريق إلي مصر مفتوح أمامك.....

فلتذهب إني شئت.....

وغمغم الشيخ في أسف

- وأين الخونة والمعتدون؟

- لقد زالت دولتهم.... وانتهوا... ولم يبقي احد

فرد الشيخ العز قائلا:

اجل..... ذهبوا..... وبقيت كلمه الحق.... إنها لن تموت – الي مصر غدا...." (١).

وفي قصه الإمام الأعظم " يتناول الكاتب موقف السلطان من فتوى الإمام أبي حنيفة النعمان حيث تدور أحداث القصة حول رد الإمام علي فتوى العالم الجليل " عبد الرحمن بن أبي ليلي" احد قضاه الكوفة، في امرأة مجنونه تدعي أم عمران حيث سمعها وهو في المسجد تسب رجلا بقولها " يا بن الزانيين " فما من كان القاضي – عبد الرحمن – إلا أن حكم عليها بإقامة حدّ القذف عليها مرتين

(١) سلطان العلماء صـ١٣٤.

لا مرة واحدة لأنها تناولت اثنين لا واحداً، وهما الولدين المعتدي عليه، ولما كانت الكوفة آنذاك مؤئل العلماء، فقد تناول هذه القضية كثير من العلماء بالتعليق، ومنهم الإمام الأعظم " أبي حنيفة النعمان الذي أبان خطأ ابن أبي ليلي في حكمه حيث وقع في ستة أخطاء، الأول انه أقام الحد في المسجد، ولا تقام الحدود في المساجد، والثاني انه ضربها قائما والنساء لا يضربن إلا قعودا، والثالث انه ضرب لأبى الرجل حدا، ولأمه حدا، ولو قذف جماعه كان عليه حد واحد، والرابع، انه جمع بين حدّين، ولا يجمع بين حدين حتى يخف احدهم، والخامس أن المجنونة ليس عليها حد، والسادس انه حد لأبوين غائبين لم يحضرا فيدعيان إلي هنا والأمر لا يعد جدالا فقهيا بين عالمين من علماء الدين، ولكن ولي الأمر في الكوفة أغضبه أن يتدخل أبو حنيفة في فتوى قاضي المدينة وقرر منع الإمام من الفتوى والإمامة في الصلاة، فما كان من الإمام إلا الاستجابة لأوامر الأمير. (١).

وحتى لا يرسخ في ذهن الشباب الذين خاطبهم الكاتب في إهدائه للمجموعة – أنّ كل الحكام يتصفون بالجور، يأتي لنا في قصه " ابن السبيل " بصوره للحاكم العادل حيث يحسن الخليفة " عمر بن عبد العزيز" المساواة بين الناس، وإعطاء كل ذي حقه، حيث يدخل الشاعر " جرير" علي الخليفة عمر بعد وساطة أحد العلماء الذي خاطبه الشاعر قائلا:

يا أيها القارئ المرخي عمامته هذا زمانك إني قد مضي زمني
ابلغ خليفتنا إن كنت لاقيه إنيّ لدي الباب كالمشدود في قرن

وبعد مناقشه طويلة بين الشيخ وعمر بن عبد العزيز أوضح خلالها الشيخ مدي احتفال الرسول صلي الله عليه وسلم بالشعراء، سمح عمر لجرير بالدخول شرط ألا يمدح إلا بالحق

فقال جرير:

(١) الإمام الأعظم صـ٦٧.

إن الـــذي بعـــث النـــبي محمـــدا جعـــل الخلافـــة في إمـــام عـــادل
والله انـــزل في القـــرآن فريضـــة لابـــن الســـبيل وللفقـــير العائـــل
إني لأرجـوا منـك خـبرا عـاجلا والـنفس مولعـة بحـب العاجـل

فقال عمر:

- يا جرير...أأنت من أبناء المهاجرين، أم من أبناء الأنصار فنعرف لهم حقهم ؟

أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب الصدقات أن يصلكما يصل قومك؟

أم ابن سبيل فلك عندنا ما لأبناء السبيل من زاد ونفقه تبلغك بلادك وركوبه تحملك؟

وطأطأ جرير رأسه في أسى – إنه أمام رجل لا يريد أن يشتري الكلمات.....

وهمس جرير في صوت خفيف بائس

- أنا ابن سبيل يا سيدي الخليفة

– لنعطيك ما نعطي ابن السبيل.... ومع إن جرير خرج خائبا في سعيه إلا أنه خرج وقد ملأه اليقين أنه أمام سماء ما طاولتها سماء..... [1].

٣. صور الجهاد في مجموعة دموع الأمير:

الممعن في موضوعات قصص مجموعة " دموع الأمير " يلمس أن الجهاد هو الخيط الذي يربط كل قصص المجموعة، فقد تناول الكاتب صورًا مختلفة للجهاد سواء الجهاد المعنوي الممثل في جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، أو الجهاد الظاهري المتمثل في الجهاد بالنفس أو المال أو الكلمة[٢].

(١) قصه ابن السبيل مجموعه دموع الامير صـ١١٤.

(٢) راجع الفوائد لابن القيم تحقيق د/ماهر عبد الرّازق، وكمال الجمل صـ ٨٧ ط ١ دار اليقين

والكيلانـي عنـدما اختـار موضـوع الجهـاد ليكـون الـرابط لقصـص هـذه المجموعة لم يكن اختيارًا عشوائيـًا، أو من باب المصادفة، بل كان مقصورا لأنه يدرك مدى حاجة المسلمين فى هذا الوقت إلى إحياء باب الجهاد بكل ألوانه، والكاتب عندما لجأ إلى التاريخ يستلهم منه نماذج وشخصيات، لم يلجأ إليه عزوفا عن الواقع، ولكن محاولة للتبصر فيه، أو اعتباره أداة يستعين بها على تصوير مشكلة من مشكلات الإنسان فى العصر الحالي، والاستفادة منه لبناء مستقبل أفضل، فالكاتب حينئذٍ يتناول التاريخ وعينه على الحاضر.. [1].

ففي قصة " أبو خيثمة " يستقى الكاتب أحداث قصته من تاريخ المسلمين الأوائل حيث يتجلى جهاد النفس، فأبو خيثمة لم يستطع أن ينعم بالراحة، فقد آب إلى بيته – بعدما تخلف عن جيش العسرة – يقتات الألم، ويلوك الأوجاع والأحزان، فلا امرأته الأولى تسليه، ولا زوجته الثانية تذهب بابتسامتها عنه الأحزان، ولا بستانه الفواح، ونسيمه العاطر بالذى ينعش حياته، ويبعث النشوة فى قلبه، وهكذا ضاقت الأرض بأبى خيثمة، بل ضاقت عليه نفسه، وأفزعته الأحلام، ولذا ما أن أشرق الصباح حتى يمم وجهه شطر الهضاب التى تشرئب بأعناقها إلى المدينة، وأسرع الخطو نحو هاتيك الهضاب تاركًا المدينه خلف ظهره، لعله يلقى شيئاً من هدوء البال، وراحة الضمير فى جو الصحراء الهادئ الوادع، وجلس ابو خيثمه مع نفسه يوازن بين ما يرفل فيه من نعيم، وما يسمعه عن المصائب التى لاقاها الجيش الإسلامى.. ".. وعاد أبو خيثمة إلى بيته دامع العين، وقد اعتزم أمرًا، وبانت على وجهه علامات الجد.

واتسمت ملامحه بسمات الصرامة والإصرار الأكبر، ولم يبق إلى بريق عينه وهما يتقدان عزماً، ويشعان إصرارًا.. ترى ماذا ينتوى؟

مصر سنة ١٤١٧هـ.

(١) راجع مدخل إلى الأدب الإسلامي د/نجيب الكيلانى صـ(٣-١) ط ٢ دار ابن حزم بيروت سنة ١٩٨٤م.

فجهاد أبو خيثمة هذا يمثل جهاد النفس والهوى، وانتصاره على نفسه، وعلى هواها كان نقطة انطلاق، فأبو خيثمة في هذا الموقف يمثل قدرة الإنسان على الانتصار على ضعفه، كما يصور أصالة الجوانب الخيرة المشرقة في الإنسان من خلال تعرضه لمواقف الضعف في حياته، ومن هنا جاء قرار اللّحاق بالجيش انتصارًا على النفس فى أشد لحظات الضعف والإغراء، فالماء بارد، والبستان عطره فوّاح وزوجتاه على قدرٍ كبير من الجمال، ومع ذلك ينتصر الحق فى داخله ليصرخ فى وجه زوجتاه وقد تجملن، وحملا الماء البارد، وما لذ وطاب قائلاً: " والله لبضع بلحات بلحات جافة مع محمدٍ وصحبه أحب إلىّ من خراف لذيذة شهية، وإن تلك القطرات التي يعتصرونها من روث الدواب فى قلب الصحراء لأشهى لنفسى من أى شراب فى الدنيا... ثم ينظر أبو خيثمة إلى بستانه الفوّاح العبق فيهتف به قلبه قائلاً: والله إن لهيب الصحراء وجدبها وجفاف ريحها لأحب شئ إلى الأحرار المؤمنين وهم غزاة فى سبيل الله

– أبعدا عنى هذا الطعام.

- احملا عنى ذاك الماء العذب البارد. فما بى ظمأ ولا جوع إلا إلى الله، إلى الإحبّاء... أبو خيثمة هنا في الرّاحة والنعيم ورسول الله فى الشمس والرّيح، هلموا إلىّ بجوادى وسيفى وزادى، فوالله لن أدخل عريشة أحدكما إلا بعد أن الحق بمحمد.." [1].

إذا كان هذا الموقف فى قصة " أبو خيثمة " يمثل جهاد النفس والهوى، ففي القصة ذاتها موقف آخر يمثل جهاد الشيطان، حيث يوسوس الشيطان لأبى خيثمة، ليتخلف عن جيش العسرة، ويتضح ذلك من تجسيد الكاتب لهذه المناجاة حيث يقف أبو خيثمة وقد سمع نداء الجهاد يفكر "... هناك كثيرون غيري يستطيعون أن يديروا رمى الحرب، ويشعلوا نارها، ولن يغيرهم أن يغيب أبو خيثمة

(١) قصة أبو خيثمة صـ ١١٨.

!! ولكن.. كيف ذلك يا ابا خيثمة ؟؟ إن القرآن يقول: " انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم "، هذا صحيح غير أنك يا أبا خيثمة قد ساهمت بسهمك، وأدليت بدلوك، وماذا عليك لو تخففت من أعباء النضال ولو مرّة واحدة ؟؟.. "(١).

ومن صور جهاد النفس ما نجده في شخصية سعد ابن أبى وقاص في قصة " صنائع الرجال " فقد جاهد نفسه فى الثبات على دينه، رغم حبه لأمه، وتهديداتها بالإضراب عن الطعام والشراب، وتنفيذها لهذا... ألا فاعلم يا ولدى أنني بريئة منك حتى تخرج من دين محمد، ولئن بقيت عليه لأُحرِّمن على نفسي الطعام والشراب، وأبيت في العراء لا سقف يظلني حتى أهلك من الحر والبرد، أو تعود إلى دين الآباء والأجداد... ونفذت الأم وعيدها، وأسلمت نفسها للجوع والعطش والعراء، كانت تجربة قاسية اهتزت لها "نفس سعد، وخالطها ألم ما بعده ألم، وأخذت تطن في أذنيه كلمات الشماتة والملام آناً، والسخرية والشتائم آناً آخر.... وبقيت الحال هكذا أياماً قاسية مخيفة، أمه تذوى كالغصن الذي هصرته الريح، والناس يتسلون بمنظر سعد المتألم... "(٢).

إن ثبات سعد، وجهاده لنفسه جعل النصر حليفه، فهو يرى فى أمه الحنان، ولكنه يرى فى دين الله الحق، فيثبت على دينه ويخاطب أمه قائلاً: ".. إنما أنتِ الحب والحنان.. ولكِ الطاعة.. إلا فى شئ واحد كلمة الله، إنه فوق القرابة والمجاملات.. وكل متاع الحياة ومظاهرها.. ولم تجد الم مناصاً من ان ترجع عن عزمها، وتحنى رأسها.. وفى عينها دموع أمام قوة عجيبة صنعت من ابنها رجلاً لا ككل الرجال.. "(٣).

أما جهاد الدنيا فنجد ماثلا فى قصة (سلطان العلماء، ورجل فى المنفى)

(١) قصة أبو خيثمة من مجموعة دموع الأمير صـ ١٢٣.
(٢) صانع الرّجال مجموعة دموع الأمير صـ٩١.
(٣) صانع الرّجال مجموعة دموع الأمير صـ٩١.

ففى سلطان العلماء يقف " العز بن عبد السلام " قوياً أمام المغريات الدنيوية التى يقدمها السلطان لإغراء العز، حيث يعرض عليه العودة إلى جميع المناصب التى جرد منها، بل يرفع من مكانته مقابل العدول عن الحق، وتقبيل يد السلطان، لكنّه يرفض ذلك، بل يرفض أن يقبل السلطان يده " والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدى، فضلاً عن أقبل يده، يا قوم أنتم فى وادٍ وأنا فى وادٍ، الحمد لله الذى عافانا مما ابتلاكم به... "(١).

ومن جهاد الدنيا وزخارفها وما جاء في قصة "رجل في المنفي "حيث يرفض أبو ذر الغفاري أن تمتد يده إلي المؤدبة التي أعدها معاوية بن أبي سفيان له قائلا: "...طعامي كل جمعه صاع من شعير..." (٢). هذا عن جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، أما عن الجهاد بالنفس فتبدو صورته واضحة جليّة في قصص مجموعة "دموع الأمير ".

فمن ذلك ما جسدته قصة " علي أبواب دمشق"، "وا حسيناه "، وأبو معزى...)) حيث تخوض الشخصية غمار المعارك " فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر "، ففي قصه " أبو معزى" يتناول الكاتب جهاد الشعب الجزائري ضد المحتل الفرنسي، وفيه يشير إلي تمسك ".أبو معزى" بالجهاد رغم تقدم السن وعذاب السجن "فكثيراً ما تعرض أبو معزى للموت، وهو يخوض المعارك الصاخبة، لم يكن آنذاك يفكر في موت أو حياه، كان فقط يريد النصر أو الاستشهاد..... "(٣)، وفي قصه " وا حسيناه "يكشف لنا الكاتب عن نموذج من نماذج الجهاد بالنفس ممثلا في شخصيه "الحسين بن علي " حيث قضي نحبه في ساحة القتال يدافع عن الحق، رغم علمه أن المعركة محسومة لخصمه الذي يملك العدة والعتاد، والكاتب في تصويره لموقف المجاهد يصور لنا ثبات المجاهد في

(١) سلطان العلماء صـ١٣٣.
(٢) رجل في المنفي صـ١٦٩.
(٣) أبو معزى صـ٧٧.

اشد المواقف، إيماناً منه أنها إحدى الحسنيين إما النصر، وإما الشهادة. وقد جاء كثير من أبطال القصص في الجهاد بالنفس، فهناك الجهاد بالمال كما في قصة "القلب الكبير "حيث جاهد عبد الله بن المبارك بالمال، ليسد حاجة الفتاه الفقيرة، ومن ألوان الجهاد كما صورته مجموعة "دموع الأمير " الجهاد بالكلمة، وقد تمثل ذلك في العديد من القصص مثل قصة (سلطان العلماء، العرش المحطم، علي أبواب دمشق...)

فأبطال هذه القصص من العلماء تنبهوا إلي دور الكلمة في إحياء الأمة ومجابهة جور السلطان،

ولعل المبحث السابق " دور العلماء في مجابهة جور السلطان " قد تناول هذا النوع من الجهاد بالتفصيل، وقد جعلته في مبحث خاص، وذلك لكثرته، وتنوع صوره حيث أدرك الكاتب أن هذا اللون من الجهاد يمس كيان الأمة.

وهكذا تناولت المجموعة أحداثًا وشخصيات تاريخية هامة فى لمحات معبرة، أو من زوايا خاصة، وهى لا تنسى الأثر الذي تحدثه هذه الأحداث، والشخصيات في نفس القارئ، ومدى ارتباط الأحداث بقضايا المجتمع ومشاكله، وقضايا الضمير الإنساني، ففى مشرق الإسلام تطالعنا صورة " صانع الرجال، وأبى خيثمة " وفى عصر بنى أمية واجهنا الكاتب بصورتين متقابلتين فى مجتمع غدت تصطرع فيه المتناقضات في " دموع الأمير " و "ابن السبيل "، والمُمْعن فى قصص المجموعة يدرك تنوع موضوعاتها، واختلاف نسجها ما بين قصة حدث، وقصة شخصية، كما أن أبطال القصص ليسوا هم الخلفاء والأمراء وحدهم، فقد كان علماء الإسلام، ودعاة الحق، ورواة الكفاح أبطال لكثير من القصص تلمس ذلك في " رجل فى المنفى، والإمام الأعظم، وسلطان العلماء، والقلب الكبير، وابومعزى...." والممعن فى قصص مجموعة " دموع الأمير " يلمس اهتمام الكاتب بقضية الأسر والسجن، وهذا يقودنا إلى بيان العلاقة بين استخدام الكاتب " للسجن " وأثر السجن فى حياته، فالممعن فى حياة الدكتور نجيب الكيلانى يدرك ان

الرجل عاش فى عالم المعتقلات – ردحا من الزمن ." عشر سنوات " كتب خلالها كثيرًا من أعماله الأدبية، ومنها هذه المجموعة " دموع الأمير "، ومن الطبيعي أن الأعمال الأدبية التى تولد فى هذا المناخ يكون لها طابع خاص، حيث تتولد التجربة من رحم المعاناة، وهى تجارب قلما تتكرر لأديب موهوب مرهف الحس، ولا شك أن نتاج الأديب لا يمكن فصله عن حياته، ومن يقرأ قصة " أبومعزى " يقف على خبرة الكاتب، ومعرفته بعالم السجون، وليس أدل على ذلك من وصفه الدقيق للزنزانة التى نزل بها أبو معزى، حيث يصفها الكاتب فى قوله ". الزنزانة صامتة كالقبر، وظلامها دامس مكفهر كوجه الشيطان، وبين آونة وأخرى يتناهى الى السمع صوت الأحذية الثقيلة وهى تدق الأرض فى غلظة وتحدٍ مثير، وشئ آخر كان يقطع السكون، إنه التأوه المكتوم في الزنزانات المجاورة "(١).

وفى قصة " العرش المحطم " يكون السجن هو الحل بالنسبة لسعدان ابن الشيخ إبراهيم، ويصف الكاتب مشهد القبض على سعدان الذى أذهله فقتل أبيه "... وذات ليلة حالكة السواد سمعت الأم الساهرة حركات غريبة لدى باب البيت ثم ازدادت الحركة وضوحًا فاستطاعت أن تميز وقع الأحذية الثقيلة، وما هي إلا دقائق قليلة حتى رجعوا من حيث أتوا ومعهم سعدان.. سعدان المجنون.. ويداه مقبلتان بالحديد، ونظراته البلهاء هي هي لم تتغير.. وأخذوا سعدان بعيدًا إلى الوادي الرّهيب، حتى إذا ما صرخ، أو استنزل اللعنات على السلطان لم يسمعه احد، وقذفوا به في حجرة مظلمة رطبة من حجرات السجن العتيق، كما قذفوا بآلاف غيره من قبل فابتلعهم كالوحش الجائع الذي لا يشبع.. "(٢).

والحق أن الممعن في موضوعات قصص المجموعة يدرك واقعية الكاتب في اختيار موضوعاته.

---

(١)أبو معزى صـ٦٩.

(٢)العرش المحطم صـ ١٠٢.

فالكاتب عندما يركز على موضوع الجهاد بأنواعه وإشكاله يدرك مدى حاجة واقع الأمة إلى إحياء هذه الشعيرة، فهو وإن اختار حدثًا تاريخيًا إلا أنه يختار من الماضي ما يشف عن الحاضر ، فمن ثنايا الماضي يصور جوانب الحاضر، ليبعث من ذلك رسائل تذكر الشباب بالكنز الذي أضاعوه، فبرغم كون الأحداث تاريخية إلا أنها واقعية من حيث حاجة الأمة إليها، إذ لا سبيل للأمة لإعادة ما ضاع إلا بالعودة إلى الإقتداء بأئمة العلماء وجهادهم.

الدراسة الفنية

(أ) الشخصيات:

أشار النقاد كثيرا إلى أثر الشخصيات في القصة القصيرة، فقد اشترط " سيد قطب في الشخصيات القصصية أن تكون مرسومه بعناية بحيث تتضح ملامحها وسماتها في العمل القصصي فيقول: "... وكلما وضحت السمات والملامح كاملة من الخارج والداخل كان ذلك أكمل..... وليس المهم هو لون الشخصية وعظمتها، وإنما المهم هو طريقة التناول والسير فيه.. [١].

فاحتفال النقاد بأهمية الشخصية يعود إلى دورها المؤثر بكونها إحدى ركائز المؤلف في نقل أفكاره حيث ينعقد عليها الحوار والصراع، فالشخصيات في البناء الدرامي لا تنحصر في كيان إنساني، فمن الممكن أن تكون رمز أو فكرة أو غير ذلك، ولذا وصفها بعض النقاد " بأنها مصدر الحبكة التي يمكن أن تتطور من خلالها الأقوال والأفعال التي تصدرها الشخصية... [٢].

ولما كان للشخصية أثرها الفعال في البناء القصصي فقد غالى بعض النقاد فقدموها على الموضوع، وعدّوها العنصر الأول في ترتيب البناء المسرحي القصصي فهذا " لايوس ايجرى "" في كتابه "" فن كتابه المسرحية" يعطي للشخصية الأهمية الأولى. ويدعوا المؤلف أن يبدأ بتصوير شخصيات عمله الفني، وتحديد أبعادها الجسمية، والنفسية والاجتماعية تحديداً دقيقاً قبل أن يبدأ كتابة عمله الفني قائلاً " إن الشخصيات هي التي توجه أحداث القصة وفقاً للأبعاد التي حددها المؤلف.."[٣].

ووجه المغالاة في هذه النظرة يكمن في كونها غير مقبولة عقلاً حيث

(١)النقد الأدبي أصوله مناهجه سيد قطب ص ٧٧ ط٤ دار بيروت للطباعة سنة ١٩٦٦م.
(٢) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية د/ إبراهيم حمادة ١٥٥ ط دار المعارف.
(٣) الأدب وفنونه د / محمد مندور ص٩٨ ط دار نهضة مصر سنة ١٩٧٧م.

يقدمها " لايوس ايجرى " على الموضوع الذي يمثل الأساس الذي تبني عليه القصة، والذي من خلاله يرسم الكاتب أحداث قصته بما فيها من حوار وشخصيات فإذا كانت الشخصيات هي التي تسير أحداث القصة، فإن الأحداث هي التي تحدد أبعاد الشخصيات وتبرزها، إذ ليس بمعقول أن يأتي المؤلف بشخصيات تحددت إبعادها قبل أن تبدأ القصة، بل الواجب أن تقوم أحداث المسرحية أو القصة بوضع تصرفات االشخصيات في مواقفها المختلفة يتحديد الأبعاد ورسم الصورة العامة لكل شخصية..... "[١].

فالشخصية في القصة أو المسرحية " تعني الأفراد الذين يؤدون الأحداث الدرامية في المسرحية أو القصة المكتوبة على المسرح في صورة ممثلين..."[٢].

هذا، وقد اعتاد النقاد على تقسيم شخصيات القصة إلى شخصيات محورية، وأخرى ثانوية أو مساعدة، ولكل منها وظيفتها في البناء القصصي، والشخصيات المحورية هي التي تؤثر في الأحداث، وتتأثر بها الأحداث، حيث تمثل المحرك الأول لأحداث القصة، لأنها مركز الأحداث، وقد وصفت بأنها " الممثل الأول الذي كان يلعب الدور الريادي في الدراما الإغريقية القديمة.... أما الآن فيطلق المصطلح على الشخصية التي تلعب الدور الأساسي في القصة أو المسرحية كنص مكتوب.... [٣]، أما الشخصية الثانوية أو المساعدة فهي الشخصية التي لها وظيفة في مجرى الأحداث لكنها غير محورية في تطوير الحبكة الدرامية.... "[٤].

وللشخصية أيا كان نوعها (محوريه أو ثانوية) عدّة مقومات لابد من توافرها منها [٥]:

(١) المرجع السابق ص ٩٨.

(٢) معجم المصطلحات الدرامية ص ١٥٥.

(٣) المرجع السابق ص١٥٦، ١٥٧.

(٤) المرجع السابق ص١٥٦، ١٥٧.

(٥) راجع مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة عدد١٦ ١٩٩٧م ص ٤٩ وما بعدها.

(١) أن تجيد الشخصية التعبير عن نفسها، وان تتمكن من الوقوف علي قديمها.

(٢) إن تكون الشخصية سويه،وهذا الشرط غير مطرد،لان الأشخاص غير الأسوياء لهم وجود في الحياة، وإنما أردت بالشخصية السوية، المتناسقة مع أفعالها، وسلوكياتها حتي لا تبدو متناقضة مع واقعها.

(٣) أن يراعي المبدع عنصر التوافق بحيث لا يظهر الفتي في صوره الفتاه أو العكس، انطلاقا من إن لكل نوع طبيعته، ومزاجه، وتكويناته، وسماته الخاصة التي تفرده عن غيره.

(٤) إلا تكون الشخصية غريبة أو غير معقولة التصور حتي يكون لدى القارئ قناعه بها.

وقبل أن نتعرف علي شخصيات " مجموعة دموع الأمير القصصية " تجدر الإشارة إلى أن الأسلوب القصصي يبنى على " رؤية الأديب لشخصياته، وللحياة التي يحيونها والحقائق التي تنكشف عنها الحياة، وتصوره لها من خلالهم، وكيف يرى هذه الشخصيات في عالمها الذي تحيي فيه رؤية موضوعية، والطريقة التي تتخيل بها هذه الشخصيات في موقفها،هذه الرواية هي التي تسيطر على تصويره لها، كما أنها هي التي تسيطر على بنية القصة، وصور أسلوبها.... "[١].

وإذا ما أمعنا النظر في قصص " مجموعة دموع الأمير " نجد أن الكاتب يحتفي بالشخصية، إذ تحظى الشخصية بعناية المؤلف من حيث إختياره لها، وانسجام كلا منها مع نفسه، وتميزه بمشاعره، ثم تباينه مع غيره، لينشأ الصراع بين هذه الشخصيات ويبرز الموقف الدرامي حين تلتقي، فالكاتب كان قريباً من شخصياته فأدرك أبعادها، والكاتب لا يعني برسم هذه الشخصيات جسدياً، وإنما انصب اهتمامه على فكر الشخصية، لأن الاهتمام كان موجها إلى الحدث

(١) راجع في النقد المسرحي د / محمد غنيمي هلال ط دار نهضة مصر ١٩٩١م ص١٢٤.

المحوري، فاختيار الشخصيات جاء ليحمل دلالات مقصورة " فهشام المخزومي " في قصة " دموع الأمير " يمثل أداة السلطان في قهر المعارضين، وشخصية " العز بن عبد السلام " وابن تيميه، وآلاما م الأعظم، والشيخ إبراهيم... " يمثلون شخصية العالم المجاهد الذي لم يستطيع السلطان أن يحتويه بكل وسائل الإغراء.

كما أن شخصية " أبي ذر الغفاري، وعبد الله بن المبارك... " من الشخصيات التي عرف عنها حبها للفقراء والمساكين، حتى أطلق على أبي ذر محامي الفقراء، أما شخصية أبو معزى" في قصة " على أبواب دمشق " فهي شخصية ترمز إلى الشخصية الجهادية التي تبذل النفس في مواجهة المعتدين، ولقد وفق الكاتب حين أشار إلى تقدم السن بابي معزي يرمز بذلك إلى جهاد الشيوخ حيث لم يقف تقدم العمر حائلاً بينه وبين الجهاد، وقد بنى المؤلف شخصيات قصصه على محورين (الشخصية المحورية، والشخصية الثانوية).

ففي قصة "دموع الأمير " تمثل شخصية " هشام المخزومي " الشخصية الأولى في القصة، ومن هنا تتبع المؤلف أبعاد هذه الشخصية وتصرفاتها، ومن أبعاد هذه الشخصية أنها شخصية متوترة تجنح إلى الظلام ولا تحب النور ".. ما أروع الظلام إنه شيء متجانس، غامض لا تصطدم العين فيه بشيء ولا مصابيح مرتعشة، ولا ظلال متراقصة على الحيطان، ولا ستائر ملونه، لا شيء..... لا شيء أراه سوى السواد المتجانس الذي ترتاح إليه نفسي، أما النور فأنا أحس أنه يعريني جسداً وروحاً.... "(١).

ومع أن شخصية هشام المخزومي شخصية متوترة إلا أنها تعرف جيداً دورها المنوط بها، إنه دور الحارس الذي يظلم الناس ليعيش الخليفة بينما تطارده هو أشباح المظلومين.

....."يبدو أنك ما زلت متألما لموت الخليفة فانطلقت منه ضحكه ساخرة

(١) قصة دموع الأمير ص١٣.

قال :

- ليمت الخليفة أو يحيي فالأمر بالنسبة لي سيان، إننا لا نفكر في الخلافة إلا بالقدر الذي يهمنا،بالمنافع والمشاكل التي تربطنا بها، وخاصة في هذه الأيام العصيبة، أنا لا أفكر في الخلافة إلا من خلال عملي كوال للمدينة ومن خلال وضعي الشائك، وماضي المليء بالحوادث والصراع الدامي.."[١].

إن صور الظلم، وماضيه الأسود لا يفارقان خياله، فما تكاد تغمض له عين حتى تلاحقه (وجوه كثيرة كانت تتلاحق في الظلام، كلها حقد مغلوب، وعيون كثيرة كانت تبرق في الظلام، كلها صيحات وصرخات، وينابيع حمراء تتفجر بالدماء البريئة والآثمة..... وخطب نارية متوعدة من فوق المنبر.... تماما مثلما يفعل الحجاج في العراق، الظلام مليء بشتى الصور والأشباح والضحايا.... "[٢].

كما تظهر القصة شخصية (هشام المخزومي) شخصية متناقضة تظهر أمام نفسها بصورة غير التي يراها عليها الناس،ويصور ذلك الكاتب في قوله: ".... وتنهد هشام في أسى، كانت تنهداته تطفح بمزيد من الخزي والخوف، وشعر أنه أصبح شيئا آخر غير ما يراه الناس، إنه في ثوب أمير عالي الشأن، وحوله كل مظاهر المجد والعظمة.

لكن حقيقته كانت تخالف ذلك تمام المخالفة،إنه أمام نفسه إنسان صغير... ضئيل.. مرتجف..حياته مرتبطة بخيط واه ضعيف.... خيط الإمارة، وعندما ينقطع هذا الخيط فسوف يهوي من حالق، ويرتطم جسد الثقيل بالأرض الطلبة، فتصرعه أو تهشم عظامه... وتتركه إنساناً محطما نفسياً يستدر العطف ويجلب الرثاء.... "[٣].)

(١) دموع الأمير ص١٥، ص ٢٣.
(٢) دموع الأمير ص١٥، ص ٢٣.
(٣) دموع الأمير ص ٢٠.

ويصور لنا الكاتب صورة هشام المخزومي – النادم – وقد تسلل إليه نبأ استغناء الخليفة الجديد عنه، إذ أخذته نوبة من البكاء، وقال وهو يجفف دموعه: -

((. ...الذي يحزنني هو أنني كنت أداه غاشمة في يده... أسلك أي سبيل.... بل اشبع السبل للقضاء على مناوئيهم، وأجتلب سخط الناس لرضائهم، لقد أخذوني لحماً وعظما، وتركوني عظما، خسرتهم وخسرت الناس.... لم أنل شيئا غير سخط الخالق والخليفة ولو كنت عادلاً شغوفاً بالناس لخسرت فقط بني أميه، وبقي لي الرصيد الكبير.... الرصيد الذي لا ينفذ رضى الله ورضى الناس، كنت بالأمس حذاء في قدم الخليفة القديم، يدوس به أعناق المعارضين والثائرين، أما اليوم فما أنا إلا حذاء قديم مرقع، يرمى به في الخرائب)) [١].

ومن الشخصيات المحورية شخصية (عبد الله بن المبارك) في قصة "القلب الكبير" حيث تعدُّ هذه الشخصية هي المحرك الأول للأحداث منذ بدايتها إلى نهايتها.

وقد كشف لنا الكاتب في بداية القصة عن جانب من شخصيته – عبد الله بن المبارك – وذلك من خلال وصف رجل في القافلة لهذه الشخصية بقوله: ((إني كثيراً ما أفكر في أمر هذا الرجل، فلا أكاد أصدق ما تقع عليه عينني.... إنه في ميدان العلم إمام المحدثين، وأحد أربعة أعلام يروون الحديث، ويجمعون ذلك التراث الكبير.... وفي ا لزهد قل أن تجد له مثيلاً، حتى لكأن الدنيا بمالها وجمالها لا تستطيع أن تميل به، أو تصرفه عن خطته التي التزمها قيد أنمله، وفي الحرب أمره عجيب، يدلف إلى الثغور الواقعة بيننا وبين الأعداء، ويحقق النصر هو ورفاقه ما لا يصدقه عقل، وفي أمور الدنيا وتجارتها نابه فذ..... ماذا تريد أيها الشيخ أكثر من ذلك)) [٢]..

(١) دموع الأمير ص ٢٠.

(٢) المرجع السابق ص٤٦.

والكاتب عندما كشف عن هذه الجوانب من شخصية عبد الله بن المبارك هدف من وراء ذلك إلى عدة معان منها بيان مكانة وقيمة هذا الرجل بين أصحابه، ولكي يكون تصرف فيما سيأتي من أحداث هو تصرف العالم الفقيه بحديث رسول الله ﷺ ؛ ولذا عندما اختار التصدق بالمال مفضلا ذلك على استكمال الرحلة لم يناقشه أحد،لأنه أعلم بأمور الدين منهم.

وفي قصة (أبو معزى) كان حرص الكاتب على وصف جانب من ملامح هذا البطل المجاهد مقصورا، إذ أراد المؤلف أن يشير إلى تقدم سن " أبو معزى " فقال: ((..... وفي ركن من أركان الزنزانة الصامتة المظلمة، تربع شيخ مهيب الطلعة ذو لحية بيضاء، تكاد تبدد ما يكتنف الوجه السمع من ظلمة متكاثفة.....))[1].

ولعل هذا الملمح يفسر لنا كثرة استخدام الكاتب للفظ الشيخ في القصة ((.... وقبل أن يفيق الشيخ من مناجاته دفع السجان باب الزنزانة دفعه قوية.....، وفي تثاقل وعدم اكتراث تحرك الشيخ....، فانبسطت أسارير الشيخ ونظر إلى السجان في رقه وحنان.....، فرد الشيخ في بساطه مفحمه، ومنطق سهل واضح..... ودلف الشيخ إلى زنزانته فوجدها كما هي سوداء صامته..... كذلك أيها الشيخ العنيد... تكلم إذن أيها الشيخ... [2].

إن شخصية " أبو المعزي " شخصية الهدف منها إزكاء روح المقاومة لدى الشباب، ولذا لم يحدد لها الكاتب أسرة تنتمي إلها، بل ذكر في القصة شخصية أنها غريبة ((... وحار المحققون في أمر أبي معزي.... ماذا يفعلون كي ينطقوا هذا الرجل ويدفعوه إلى الكلام..... أي كلام ؟ وفكروا في أن يستحضروا أهله – زوجته وبنيه – ثم يوقعوا بهم أشنع ألوان التعذيب والتنكيل لكنهم فوجئوا بحقيقة غريبة، وهي أن الجزائر بين أنفسهم لا يعرفون – على وجه الدقة – لأبي معزى

(١) ابومعزي ص٦٩.

(٢) أبو معزي ص ٦٨ – ٨١.

أهل أو بيتاً، اللهم إلا كفاحه الرائع، وإيمانه الذي لا يتزعزع أو يتوجع.... وهكذا بدأ أبو معزي غامضا ف أصله ونسبه، واضحا كل الوضوح في نضاله وتضحياته. ....

أحاط اسمه بمزيد من القداسة والتعظيم، وبث في روح أتباعه ثورة مضاعفة، وملأها إيمانا عارما، فتوالت ضرباتهم المسددة، وتتابعت غزواتهم الموفقة.... (١).

وفي قصة " العرش المحطم " أوقفنا الكاتب على شخصية الشيخ إبراهيم... ذلك ا لرجل الذي ضحى بحياته من أجل كلمة الحق... حيث أوضح أنه شيخ كبير من خيرة علماء الأستانة، وعلى الرغم من حاله المتواضع، وعلمه الغزير فقد كان قنوعاً كريم النفس ن يعف عن الحرام ولا يتزلف على أرباب السلطان، فعاش بين معارفه موضع الحب والتقدير، ولم يكن يبغي من دنياه إلا أن يحفظ الله له زوجه التقية الطاهرة، وفلذة كبده سعدن، وتلك الجارية الجميلة التى أعتقها على أن يزوجها قريبا من وحيده سعدان.... (٢).

هذا هو كل ما يملك الشيخ إبراهيم من متاع الدنيا، أما عن جرأته في الحق، وكونه لا يخشى في الله لومة لائم فحدث ولا حرج، ومن خلال تلك الشخصية، وهذه القيم بنى القاص قصته.

وفي قصة " سلطان العلماء " تطالعنا شخصية " العز بن عبد السلام " ذلك الشيخ الوقور الذي ملأ دمشق كلها بفتاوى تناقلتها الأفواه من مكان إلى مكان، واهتزت قوائم عرش السلطان، لقد جسدت هذه الشخصية معاني الجهاد بالكلمة أصدق تمثيل، وعلى غرار هذه الشخصية تأتي شخصية معاني الجهاد بالكلم أصدق تمثيل، وعلى غرار هذه الشخصية تأتي شخصية ابن تيمية في قصة التتار.

(١) قصة أبو معزي ص ٧٣.

(٢) العرش المحطم ص٩٧.

ويصف لنا الكاتب صورة الشيخ فيقول "... كان الشيخ عابس الوجه، متجهم النظرات، وكان يحرك يديه، ويبعث بها بأعصابه في عصبية ظاهرة، لم تخف على الجالسين، وران على الجميع صمت رهيب،صمت يجلله الحزن، ويخالطه الأمر،، وأرسل الشيخ تنهيده من الأعماق، وقد تخضبت عيناه بالدموع.... وصمت الشيخ برهة، ثم استطرد قائلاً في لهجة حزينة آسفة.

- انظروا تجدوا المسلمين قد انقسموا إلى حكومات محلية منعزلة متنافرة، واحصروا المذاهب الفقهية والسياسية التي فرقت شمل العرب..... ولا تنسوا الصراع الرهيب بين الأمراء والبيوت الحاكمة من أجل الوصول إلى الحكم، ولو على الأشلاء..... فلا تعجبوا إذن إذا ما احتل الصليبيون أجزاء من الشام.... (١).

إن نظرية الوحدة ومواجهة الأعداء، هي شغل هذه الشخصية الشاغل، ولذا كان اهتمام الكاتب بفكر الشخصية أكبر من اهتمامه بمظهرها، أو أبعادها الجسدية.

وفي قصة " رجل في المنفي " نجد الكاتب يكشف في مطلع القصة عن جانب من الصفات الجسدية لبطل القصة " أبو ذر الغفاري " فهو ((... رجل طويل ناحل العود،أسمر الجبهة، متواضع جسور، يرفع يده عاليا يصيح بمعاوية بن أبي سفيان، ومن حوله من عظماء وقواد وأغنياء أن

كفوا عن البذخ والهرج، وهاتوا فضول أموالكم وأعطوها للفقراء، ولا تكنزوا المال، أو تلجئوا إلى الاحتكار، فهو حقد وأنانية،ومدعاة لتحطيم أواصر المحبة، وفصم رباط المجتمع، وإثارة الشحناء بين الناس.. (٢).

ومن خلال تتبع الشخصيات المحورية التي قامت عليها قصص ((

(١) قصة سلطان العلماء ص١٤٨.

(٢) قصة رجل في المنفى ص١٥٩.

مجموعة دموع الأمير)) تبين أن هناك سمات تجمع بين أبطال هذه القصص، تتمثل في صفات البطل المجاهد، والتي تتمثل في عدة محاور منها:

- الإحساس بالمسئولية، حيث العالم الفقيه (العز بن عبد السلام، ابن تيميه، الشيخ إبراهيم،.....) يؤمن بخطورة الدور الذي يجب أن يقوم به العالم، ويتضح ذلك من قول العز بن عبد السلام لابنه عبد اللطيف (.... إن كلمة الحق وحدها جيش كامل العدة والعتاد... وقد قررت أن أقولها.... أتحسب أن أباك يحرص على حياته ومنصبه ؟.... فما الفرق إذن بيني وبين السلطان إذ هو حريص على متاع دنياي ومغرياتها... [١]. [٢] والإحساس بالمسئولية هو الذي دفع الشيخ إبراهيم في (قصة العرش المحطم) أن يدفع حياته حين واجه السلطان عبد الحميد قائلاً ((... الساكت عن الحق شيطان أخرس... ما الحياة ؟ وما الموت ؟ وما الدنيا بأسرها إزاء كلمة الحق سوى شيء تافه.... إن ملكا هذا شأنه، وتلك سياسته مصيره إلى الزوال، ولن تجدي سطوة، أو تنفع قسوة، أو تحميه من المصير المحتوم أية قوة وأية عصبية آثمة من العلماء الضعفاء... [٢].

إن هذا الشعور نفسه هو الذي جعل الشيخ " أحمد بن تيمية " يكتب إلى الناصر سلطان مصر ((.... إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا سلطان يحيطه يحميه، ويستغله في زمن الأمن، ولو قدر أنكم لستم حكامه ولا ملوكه، واستنصركم أهله وفعليكم النصر ،فكيف وانتم حكامه وسلاطينه،وهم رعاياكم، وأنتم مسئولون عنهم ؟؟؟....)) [٣].

- ومن سمات البطل المجاهد التي حرص الكاتب على إبرازها في شخصيات القصة، صفة التواضع، والعزوف عن الشهرة والأضواء، وما أجمل أن يكون التواضع مصحوباً بالمهابة والمحبة، وقد تجلى ذلك في كثير من شخصيات

(١) العرش المحطم ص ٩٩.

(٢) العرش المحطم ص ٩٩.

(٣) على أبواب دمشق ص ١٥٣.

المجموعة، ففي قصة "دموع الأمير" تطالعنا شخصية زين العابدين المتواضعة المتسامحة، وذلك حين وقف هشام المخزومي أمام دار مروان يقتص منه كل صاحب حق، وبعدما انتصف النهار، ورأى الناس زين العابدين، وحوله جمع حافل من مواليه، وأهل بيته ((أوجس شام خيفة، وخيل إليه أن الموت يدنو منه مع كل خطوة يخطوها زين العابدين، فلما كان أمامه، واستسلم هشام لليأس، وبلغت روحه الحلقوم قال زين العابدين:

- السلام عليك يا هشام. ومد يده إليه يصافحه، ويهز يده ويمسك بها، ومد هشام يده، ثم أسلم نفسه إليه، وخفض رأسه وبكى وقال زين العابدين.

- إن كانت لك حاجة فإنا نعطيها لك، وإن كان عليك دين من ولايتك فإنا نسد دينك[1].

في قصة "الإمام الأعظم" يصف الكاتب جانبا من أخلاق الإمام من خلال وصف الزائر المصري حيث ((.... أخذ السائح الغريب يرافق الإمام أينما ذهب، وفي متجره الواسع رأى الشيخ تاجراً ناجحا – بزارا – يعامل الناس في حسن، ويقنع بالربح المعقول، ولا يعرف مساومة ولا مماطلة، رأس ماله صدق وأمانه وقناعة.... [2].

وكذلك من سمات البطل المجاهد كما جسدته مجموعة دموع الأمير – مجابهة الظالم مهما علت مكانته وطغت سطوته، ولعل فيما ذكرنا من نماذج ما يكفى. لبيان هذه الصفة.

ومن الملاحظ على قصص المجموعة الاحتفال بدور الشخصية لدرجة تجعلنا نقول إن معظم قصص المجموعة تنتمي إلى ما يمكن أن نسميه (قصة الشخصية) ونقصد بها تلك القصص التي تركز على رسم الشخصيات وبيان

(١) دموع الأمير ص١٥٣.

(٢) الإمام الأعظم ص ٦٢.

همومها وأحزانها ومشاكلها..... [1].

والممحص كذلك في شخصيات المجموعة ((دموع الأمير))يدرك اهتمام الكاتب بالجانب الفكري للشخصية أكثر من اهتمامه بأبعاد الشخصية الجسدية اللهم إلا ما رأى أنه يخدم الهدف العام من القصة.

أما عن استخدام الكاتب للشخصية الثانوية فقد جاء محدودا، وموظفاً في خدمة الحدث، أو إبراز جانب من جوانب الشخصية الرئيسية، فمثلا دور الزوجة في قصة دموع الأمير وظف للكشف عن الأبعاد النفسية لشخصية هشام المخزومي، فمن خلال الزوجة، وضحت الحالة النفسية لهشام، وحبه للظلام، وإحساسه بضآلة قيمته عندما يجلس بعيداً عن الرعية. أما دور (زين العابدين) في القصة فقد جاء ليكشف عن قيمة التسامح والعفو عند المقدرة، فبينما جاء دور الفتاة في قصة "القلب الكبير" ينقل الأحداث، ويحول مسيرة البطل من الذهاب إلى الحج إلى قضية العدالة الاجتماعية، وشخصية عبد اللطيف ابن الشيخ العز بن عبد السلام في قصة "على أبواب دمشق " جاءت لتكشف عن قناعة العالم بموقفه تجاه السلطان الجائر. وقد أشارت الدراسة إلى نماذج تكشف عن دور هذه الشخصيات الثانوية.

الحوار:

يعد الحوار من أبرز عناصر العمل القصصي، لأنه المحرك لكل مفردات القصة، كما أنه يحمل عبء الصراع، وتصاعد الأحداث، ويوضح الكرة التي يرمي إليها المؤلف، ومن خلاله يستطيع الكاتب تجسيد الشخصيات والتعبير عما يدور بداخلها مما يضفي على العمل المسرحي والقصصي المرونة والحيوية،

(١) راجع يوسف إدريس والفن القصصي د / عبد الحميد القط دار المعارف القاهرة سنة ١٩٨٠ ص٢٨٣.

ويجعل القارئ أو المتلقي يشارك الشخصيات انفعالاتها... [١].

وعلى هذا فالحوار في مفهومه العام " نمط من التعبير تتحدث به شخصيتان أو أكثر، وقد اتسم حديثهم بالموضوعية والإيجاز والإفصاح، وهو الطابع الذي يتسق به الكلام بطريقة تجعله يثير الاهتمام باستمرار، ويشتمل على نسب موزونة..... [٢].

ويصيف الكاتب الكبير "توفيق الحكيم" أهمية الحوار في القصة والمسرحية بقوله:

((والحوار هو أداة المسرح والقصة، فهو الذي يعرف الحوادث، ويخلق الشخصيات، ويقيم المسرحية من مبدئها إلى ختامها...)) [٣].

وكلما تمكن الكاتب من إجراء الحوار المناسب الذي يعبر عن الشخصية والحدث، ويكسب الصراع، كلما دل ذلك على تمكنه من أدواته.

فالحوار الطويل يتحرك – في الغالب – بصورة أكثر بطئا من الحوار الذي تكون جمل الحوار فيه قصيرة متلاحقة، كما أن هناك فرق بين الحوار الهادئ الذي يأتي في بداية العمل القصصي والحوار النابع من الصراع حين تتأزم الأمور، ولكي يصل الحوار إلى درجة الإجادة لابد، وأن يتوافر له عدة أمور منها[٤]: [١]

(١) راجع المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها د / عمر الدسوقي مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٧، ص٢٧٢ والبناء الدرامي د / عبد العزيز حموه ط دار البشير عمان الأردن سنة ١٩٨٨ ص١٤٩.

(٢) الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون د / طه عبد الفتاح مقلد مكتبة الشباب سنة ١٩٩٢ ص٩.

(٣) راجع في الأدب توفيق الحكيم ط دار مصر للطباعة سنة ١٩٧٧ ص١٤٠.

(٤) راجع مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ص١٣٠ لعدد ١٦ مسرحية قيس وليلى د / سمي عطيه أحمد.

- الميل نحو الإيجاز والتركيز ،وذلك باختيار الجمل القصيرة الموحية التي من شأنها أن تضمن للمشهد الحيوية والدفء.
- أن يكون الحوار موضوعيا يبتعد فيه الكاتب عن المبالغة والتهويل
- أن يكون الحوار واضحاً لا غموض فيه ولا التواء.
- أن يعبر الحوار عن أحداث القصة. وطبيعة الشخصيات، فإذا كان الحدث مأساويا استدعى ذلك الجمل القوية القصيرة التي تشع منا دلالات تثير في النفس الرهبة والجلال.

ولكي يجود الحوار كما يقول باكثير ((لابد له من الصراع الصاعد الذي يكسبه قوة وحياة[1].

والممعن في قصص المجموعة "دموع الأمير" يدرك أن الحوار يعد جزءا من بنائها العضوي، فقد يكون عاملاً من عوامل الكشف عن أبعاد الشخصية، أو التطور بالحدث، أو تجلية غموض يكتنف الشخصية أو الفكرة المراد التعبير عنها، ومن القصص التي جاء فيها الحوار ليكشف عن طبيعة الشخصية، ومراحل تطورها، ما جاء في قصة "دموع الأمير" من حوار دار بين هشام المخزومي وزوجته، حيث يكشف الحوار عن الحالة النفسية السيئة التي يمر بها هشام، ويتضح ذلك من رده على زوجته ا لتي حاولت تهدئته وإضاءة المصابيح، لكنه يرد بعنف طالبا منها أن تغادر الحجرة إذا كان ذلك لا يرضيها.

((.... هيه..... ماذا قلت ؟ أتبقين في الظلام ؟

- ما دمت تحب الظلام يا هشام فأنا أحبه مثلك.
- كما تشائين (وسكت)

وحاولت أن تجره إلى المرح، لكنه لم يستحب لمداعبتها وهزارها فقالت -

(١) المسرحية من خلال تجاربي على أحمد باكثير ص٦٥ ط معهد الدراسات العربية العالمية ١٩٥٨.

- يبدو أنك مازلت متأثرا بموت الخليفة. ..

فانطلقت منه ضحكة ساخر وقل

- ليمت الخليفة أو يجيء فالأمر بالنسبة لي سيان..... إننا لا نفكر في الخلافة إلا بالقدر الذي يهمنا.... (١).

فالحوار قوي وقصير وجمله متلاحقة تعبر عن الحالة النفسية التي تسيطر على الشخصية، وإذا كان الحوار السابق يجسد الحالة النفسية لهشام، فإن الحوار القادم بين هشام وزوجته وظف لخدمة تطور الحدث، حيث تقطع الزوجة حالة الحزن والكآبة التي تخيم على المكان قائلة والخوف يعقد لسانها.

- انك تخفي على شيئا يا هشام.
- هذا حق
- أتسخر مني يا زوجي الحبيب ؟
- لا أسخر، ولكنها الحقيقة المرة يا زوجتي.
- ماذا تعني ؟ (فأجابها بصوت تعروه بحة تعسة.
- جاءني صديق قديم من دمشق اليوم خفية ودون أن يشعر به أحد، وحمل إليَّ أنباء أزعجتني.
- خيراً إن شاء الله ياهشام.
- لم أشم فيما قال خيراً، بل ضياعاً وحسرة. ..
- أفصح فقد آلمتني. (فأردف مطأطأ الرأس حزينا)
- هناك نية لعزلي من الولاية. فقالت مقاطعه (وتوليتك في مكان آخر؟)

لكنه قال بائساً:

- كلا إن الخليفة الوليد بن عبد الملك – سوف يعزلني نهائياً، ولن

(١) قصة دموع الأمير ص١٤.

يوليني في مكان آخر، يبدو أنه سوف يغير السياسية التي درج عليها أبوه نحو أهل البيت، ونحو زين العابدين بن الحسين بالذات.

وأطرقت زوجته حزينة، بينما استطرد في حديثة.

- وبعد أن كنا كل شيء.... فقدنا كل شيء. ثم أجهش بالبكاء

وأجهشت معه زوجته هي الأخرى بالبكاء وقالت وهي تحاول أن تتماسك:

- لا أريدك أن تبكي يا هشام
- صدقت عار على المرأة أن ترى دموع زوجها.... (١).

ويأتي الحوار في قصة (أبو معزى) ليكشف عن إصرار الشيخ على مواصلة الجهاد، وثباته على موقفه مهما كلفه ذلك، ويتضح ذلك من الحوار الذي دار بين أبو معزي ورئيس القضاة.

فاحتقن وجه الرئيس، وبان في عينية الغضب، وقال محتدا:

- ماذا تنتظر منا ؟
- لا يهمني ما أنتظره منكم.
- وإذا أطلقنا سراحك ماذا تفعل ؟
- أعود للجهاد في سبيل الله.
- وإذا قتلناك ؟
- سأتقدم لله ناطقاً بالشهادتين.
- وإذا سجناك ؟
- سأمضي أوقاتي عابدا لله، متضرعاً إليه أن ينصر العدل على الظلم

فأسرع الرئيس قائلا:

- لماذا تكرهنا هكذا ؟ !
- منطق عجيب حقاً، لأنكم طغاة وظلمة، أو تنتظرون أن أفرش لكم

(١) قصة دموع الأمير ص ١٨، ١٩.

الطريق بالورود، وأقول لكم أيها اللصوص هذا بيتي اسرقوه، وها هي رقبتي اقطعوها، وها هي قريتي عيثوا فيها الفساد ؟

- كذبت أيها الشيخ، نحن دعاة نور... ومعرفة... وعدل. ...
- ها.... ها... ها.... أيها الأنبياء..... يا قاتلي الأطفال والأبرياء.... ويا مخربي الديار.... إننا لا نؤمن بكم..... إذ ليس للشياطين رسالة نور، ومعرفة وعدل(١).

وهكذا كشف الكاتب من خلال هذا الحوار عن فكر أبو معزي، وزيف ادعاءات المستعمر، والحوار وإن طال بعض الشيء إلا أن إيقاعه، وحدة الصراع فيه، وجرأة الشيخ، ورباطة جأشه أعطى لهذا الحوار نوعا من الحيوية والدفء ولعل طول الحوار جاء بسبب كونه يناقش فكر يحتاج إلى أخذ ورد ويتضح ذلك من نهاية الحوار الذي يقول فيه القاضي لأبي معزى:

- لكن ألا تعرف أننا أقوى منكم.
- أجل.
- والنصر للأ قوى أيها الشيخ.
- نصر مؤقت غير نظيف، ولنا عتاد اقوي من عتادكم.
- ماذا تعني ؟
- الحق الذي ندافع عنه، والإيمان الذي يعمر قلوبنا، والتضحية التي لن نكف عنها. ..

فقال القاضي وقد ازداد حنقاً

دعنا من هذه السقطة التاريخية... (٢).

---

(١) قصة أبو معزي ص٧٩.

(٢) قصة أبومعزي ص٨٠ ولمزيد من أمثلة هذا الحوار راجع قصة ((العرش المحطم ص٩٨، وسلطان العلماء ص١٣٠، وعلى أبواب دمشق ص١٥٠، ١٥١، ورجل في المنفى ص ١٦٩، ١٧٠..

ولم يكتف الكاتب بالحوار بين الشخصيات ليعبر عن الحال النفسية للشخصية، أو الفكرة، أو تطور الحدث، بل استخدم المونولوج الداخلي، ليكشف عن الصراع الداخلي في نفس الشخصية، فهذا هشام المخزومي، وقد تسرب إليه نبأ استغناء الخليفة عنه – ورغم أن الرعية لا تعلم عن الخبر شيئاً – إلا أنه كان يفسر نظرات الرعية على أنها شماتة، ((...وغمم هشام بينه وبين نفسه:أيها الأغبياء.... الآن ترمقون نظراتكم الوقحة إليَّ، لتروا كيف سقطت من عل... كيف لبس وجهي ثوب الكمد والحزن، وكيف احتقنت عيناي من طول السهر... حملقوا في كيف شئتم... وتشفوا بمنظر الأمير الحزين الذي يوشك أن ينتهي إلى لا شيء... لا أنكر أنكم مساكين، وأنني ظلمتكم.... لكن شماتتكم حمق وعذر وغباء.... إن شماتتكم تزيد من مسخ إنسانيتي، وتجعلني أكرهكم، لا من أجل بني أميه هذه المرة، ولكن من أجل نفسي.... من أجل هزيمتي التي تتلذذون بمشاهدتها.... إن العزل كارثتي الكبرى.... الموت أهون منها[1].

ورغم تسلل نبا العزل إلا أن – هشام المحب للسلطة – ما زال يمسك بالأمل، وتراوده الأحلام، ولذ ((برقت في ذهن هشام خاطرة... يا لها من حلم منعش جميل، لماذا لا تكون شائعة العزل مختلقة من أساسها ؟

ما أجمله من يوم ذلك الذي أثبت فيه مركزي... وتعود مكانتي إلى هيبتها وسطوتها.... ويبقى واليا على المدينة رغم الحاسدين والكائدين....لكن هل سيعود مرة أخرى إلى البطش والإرهاب، وإرغام الناس على الخضوع له، والتسبيح بعدله حتى ولو ملأ ربوع المدينة جوراً وعسفا ؟ لا.... لا..... لو حدث فسوف يخشى الله ويتقيه، وينصف بين عباده، ويحظى بمحبة الخلق والحالق، إن تجربته الماضية كانت درساً قاسياً عميقاً يجب أن يحفره في ذهنه حفراً لا يمحوه سلطان

(١) دموع الأمير ص٣٤.

جديد، أو انتصار طاريء، وارتاح هشام لهذا الخاطر..... [1].

وفي قصته "القلب الكبير " يقف عبد الله بن المبارك يفكر في أمر الفتاة الفقيرة التي أحوجتها الحاجة إلى أكل الميتة ((كان يفكر في أمر هذه الفتاة وفي أمر نفسه أيضا،إنه يحج بيت الله عاماً بعد عام، ويصحب معه قافلة طويلة يغدق عليها، فيتصدق على فقرائها، ومثل هذه الفتاة المسكينة تعيش مع أخيها لا تجد ما تأكله سوى الميتة، وأبوها قتيل مظلوم، وحياتها فراغ.... ووحشة، وخوف، وبطنها فارغ، أما هو ما أبشع الفارق بينه وبينها، أي زهد قد وصفه الناس به، وأية شجاعة قد أسبغوها عليه؟ ترى كيف تقضى تلك الفتاة ليلها الطويل المليء بالعذاب والسهاد ؟! هل ترتجف من برودة الجوع. أم تهزها مشاعر الخوف من الذئاب ؟؟ وظلت تطوف برأسه صور حزينة محرقة، صورة الخائفين المتلهفين إلى طعام، وصورة المظلومين الذين طال شوقهم إلى العدل، وآلاف الدموع التي تسفح كل مساء في أكواخ أشبه بالمقابر.

وأقوام يعيشون موتى، ويدفنون أحياء، تطويهم وتنشرهم أمواج العذاب، ليته يسل سيفه لا ليحارب الأعداء فحسب لدى الثغور والحدود، بل يشهره في وجه الظلم.. والعذاب... وآلام البشر..... واختلجت أجفان ابن المبارك، وبكى..... بكى كما لم يبك قط في حياته، بل خجل من نفسه.... وهو الإنسان الكبير... وتضائل أمام تلك الجائعة الخائفة..... الشاحبة التي تمسك في يدها طائر ميتاً وتتشبث به[2]. وفي قصة أبو معزى يستخدم الكاتب المنولوج الداخلي ليصور حياة السجن الرتيبة المملة،حيث يجلس أبو معزى بعد صلاة الصبح ينتظر السجان ويرتب الأحداث اليومية التي سيلقاها ((.... فبعد ساعة سوف يأتون، ويبدأون في التحقيق معه كما حدث في الأيام السابقة، وسوف يطبق الشيخ فمه

(١) دموع الأمير ص٣٤.

(٢) القلب الكبير ص ٥٠،٥١.

عن الإجابة على أي سؤال مهما فعلوا، فليقتلعوا بعض الشعيرات من لحيته، ويلكزوه بمؤخرة بنادقهم الصلبة وأحذيتهم التي لا ترحم، وحتى ضرب السياط لن يجعله ينطق بكلمة واحدة، حقا إن السوط يؤلمه، ويخنقه في نفس الوقت لكنه يزيد من عناده وإصراره على عدم الكلام. ..ولكن إلى متى يطول هذا العذاب الجسدي والنفسي...؟ لكل شيء نهاية يا أبا معزي، حتى العمر له ساعة ينتهي فيها، ومن ثم يجب أن أظل رجلاً حتى النهاية، وكيف ألقى الله هزيلا ضعيف الإيمان ؟؟! وماذا يقول عني جنودي وإتباعي الذين اتخذوني قدوة ومثالاً عندما يرون الجبل الشامخ يتحول إلى مستنقع ضحل... عفن ؟ لا.... لا إن أبا معزى سيظل بطلا حتى آخر لحظة من عمره(١).

ومن أمثلة المفاجآت في قصة أبو معزى ما دار في نفسه من عجب حين نظر على السجان فإذا به رجل جزائري فتساءل في نفسه ((.... من هذا السجان ؟ إنه رجل جزائري..... مواطن مثلي.... وهو مجرد آله تعمل في يد الطغاة، والآلة لا قلب لها، ولا عقل.... لكن هل من الممكن أن تستعيد الآلة الزائفة إنسانيتها إذا ما استيقظ قلبها وعادت إليها الحياة ؟؟ وسرعان ما انبسطت أسارير الشيخ، ونظر إلى السجان في رقة وحنان، وقال بصوت خفيض لا يحمل حفيظة ولا تحاملاً:

- نعمت صباحاً أيها الأخ..... (٢).

وفي قصة (العرش المحطم) تكشف المناجاة عما دار في نفس الشيخ إبراهيم والد سعدان عندما أذهله تصرف السلطان عبد الحميد مع العلماء، كما أذهله جبن بعض العلماء وتخاذلهم حين ألجمت أفواههم فلا ينطقون إلا بما يرضى السلطان ((..... أما الشيخ إبراهيم فقد غلت الدماء في عروقه، واجتاحت

(١) أبو معزي ص٧١.

(٢) أبو معزي ص ٧٣.

كيانه ثورة عارمة، وطرقت أذنيه كلمات كأنها تهبط علية من السماء: الساكت عن الحق شيطان أخرس أيها الشيخ المؤمن ما الحياة ؟ وما الموت ؟ وما الدنيا بأسرها إزاء كلمة حق سوى شيء تافه، تكلم بما يرضى الله ورسوله، وأفلت الزمام من يد الشيخ فأرسل كلمات محمومة كأنها الشواظ.... (١).

وأحيانا يستخدم الكاتب المنولوج والحوار الداخلي في نقل الصراع وتطور الأحداث، كما فعل في قصة "أبو خيثمة " حيث يجلس أبو خيثمة مع نفسه بعد رحيل الجيش الإسلامي حزيناً يقتات الألم، ويلوك الأوجاع والحزن ويصرخ في أعماقه((.... ويحك يا أبا خيثمة، ليتك تستطيع أن تشترى راحة البال، ورضاء الضمير بدنانيرك كما تشترى الإبل والمتاع، إنه القلب يا أبا خيتمة بين أصابع الرحمن وحده يقلب القلوب والأبصار، إن الحياة إذا اجتاحتها الهموم، وتشربت باليأس والأرق أضحت جحيما ما بعده جحيم، فلا شفاء يا أبا خيثمة مما أنت فيه إلا بالموت ؟!! الموت ! ؛ دع الموت جانبا يا أبا خيثمة، لقد آثرت الفرار منه، وهو الذي كان يفر منك يوم الطعان والجلاد – إن أقرانك يا أبا خيثمة الآن يضربون في الوهاد والفجاج، يخوضون إلى الله عرض الصحاري في إباء لا يعرف الخنوع، وهمة لا تعرف الفتور – ثم تفيض عيون أبا خيثمة بالدمع السخين بينما تتوارد الخواطر على مخيلته، ويهتف في تشبث وإصرار وإيمان: يا رب... رحمتك..... ثم يعود أبو خيثمة لذكر الأقران و الخلان الذين خاضوا – ويخوضون مع النبي ﷺ الغمرات، ويقول لنفسه أترضى بالحياة بعدهم ويلذ لك المقام(٢).

ومن أمثلة المناجاة ما دار في نفس "أبي ذر" في قصة "رجل في المنفى " حيث امتلأت نفس أبي زر حنقاً عندما قدم له معاوية مأدبة زاخرة بألوان الطعام

(١) العرش المحطم ص ٩٩.

(٢) أبو خثيمة ص ١١٩، ١٢٠.

حيث وقف أبو ذر يتساءل ((ماذا يري معاوية بذلك ؟!

أهو مجرد الواجب الذي يؤديه المضيف لضيفة، أم هو تقدير لشخصه في صورة ذلك الطعام الدسم الشهي..... أم رشوة يريد أن يسد بها فمي، ويلوح لي بالنعيم المقبل إذا أنا امتثلت لأوامره، وكففت عن مهاجمة نظامه المالي الفاسد، وسوء توزيع الثروة بين جماهير الأمة...؟؟ .....[1].

(١) رجل في المنفى ص ١٦٨، ١٦٩.

الرمز

الرمز وسيله إيحائية من أبرز الوسائل الفنية التي يستخدمها الأدباء المتمكنون من فنهم، وفي قصص مجموعه " دموع الأمير " نجد أن استخدام الكاتب للرمز جاء علي ثلاثة مستويات، فهناك الرمز الإيحائي كشخصية " زين العابدين بن الحسين " في قصه" دموع الأمير" حيث ترمز الشخصية إلي صفه العفو والصفح، مع أن "زين العابدين" لم يظهر في القصة إلا مرة واحدة، وفي نهايتها حين وقف " زين العابدين" يصافح هشام، ويعرض عليه سداد دينه إن كان عليه دين "... ثم مضي زين العابدين ومضي خلفه أهله ومواليه، لم ينظر أحد منهم إلي وجه هشام في شماتة وحقد، ولم يتناوله بسباب أو أذي، أو تمتد إليه يد بسوء، وقال زين العابدين وهو ينصرف " انه معزول فليت له قوه، ونحن نعلو ونستكبر عن إيذاء الضعفاء.. [1]. ومن هذا النوع " الرمز الإيحائي " شخصيه " الفتاه " في قصه القلب الكبير " حيث ترمز هذه الفتاه إلي الفقراء الذين يمثلون شريحة اجتماعيه يجب أن يلتفت إليها الأغنياء، ومن هنا لم يكشف الكاتب عن اسم الفتاه، وإنما أقام حوار بين الفتاه، وعبد الله بن المبارك ليكشف من خلاله عن قضيه العدالة الاجتماعية، حيث وقفت الفتاه تقول: " إن الجوع قد عذبني أنا وأخي طيلة عامين كاملين انه شئ قاتل....

فظيع ياسيدي:

فقال ابن مبارك في استغراب

– ماذا تعنين بكلامك هذا ؟

– معني ذالك أننا سوف نأكل هذا الطائر الميت

– اتأكلين الميت؟!!!

– الجوع كافر..... لا يرحم

– استغفر الله..... هذا حرام

---

(١) دموع الأمير صـ٤٢.

–فقالت الفتاه في مسكنه وبساطه مفحمه

–وحرام أيضا يا سيدي أن نموت جوعا.... (١).

فالحوار يكشف عن كون الفتاه تمثل رمزا لفئة أو شريحة من المجتمع قد يكون لعفتها أثر في عدم إدراك الناس وخصوصا الأغنياء لمدي فداحة المشكلة، ولعل الإحساس بهذه المسؤولية هو الذي جعل العالم الجليل يأخذ قرار العودة وإعطاء المال للفتاه.

وهناك الرمز التراثي، وهو متمثل في استخدام الكاتب لشخصيات تراثية لها قدرتها علي الإيحاء، وإثراء العمل، والتأثير في نفوس الفقراء، ولعل اختيار المؤلف لشخصيه " العز عبد السلام" في قصه " سلطان العلماء، وابن تيميه في قصه علي أبواب دمشق "، وأبي ذر الغفاري في " رجل في المنفي " لكل هذه الشخصيات أثره فالكاتب يتوسل بهذه الشخصيات إلي التأثر علي مشاعر ووجدانه القارئ أملا في أن ينعكس الماضي علي الحاضر، كما أن المعطيات التراثية تكتسب لونا من القداسة في وجدان ألأمة، مما يعطي للتجربة القصصية نوعا من الأصالة الفنية عن طريق الشمول بحيث تتخطي حاجز الزمن لتحقق الأمل الحاضر.

والممعن في قصص مجموعه " دموع الأمير " يلمس استخدام الكاتب للرمز الكلي حيث تعد شخصيه " أبو مغزى" رمزا للجهاد التزم به المؤلف من بداية القصة حتي نهايتها، فأبو معزى يمثل رمزا للكفاح المتأصل في نفس المسلم، ولذا حرص الكاتب علي توضيح رمزية هذه الشخصية "– إن الجزائريين أنفسهم لا يعرفون – علي وجه الدقة – لأبي معزى أهلا أو بيتا، اللهم إلا كفاحه الرائع، وإيمانه الذي لا يتزعزع أو يتراجع.... وهكذا بدا أبو معزي غامضا في أهله ونسبه، واضحا كل الوضوح في نضاله وتضحياته وحشده للجنود، وإشعاله المعارك الدامية الرهيبة التي أقلقت المستعمرين...(٢).

(١) القلب الكبير صـ٤٩.

(٢) أبو معزي ص٧٢.

وسنلاحظ في القصة أن الرمز يتولد من مجموع ما تشير إليه الصورة كرمز موحد " لأن علاقة الرمز بالصورة اقرب إلي علاقة الجزء بالكل، وان سمة الرمز الجوهرية إنما تولد من الأسلوب... (١).

ومن الظواهر الرمزية التي استخدمها الكاتب ظاهرة الحلم، والنور والظلام فظاهرة الحلم موظفة في أكثر من قصة من قصص ألمجموعة " فهشام المخزومي " في " دموع الأمير ما أن تأخذه سنه من النوم حتي يستيقظ فزعا قائلا: " رأيت في منامي رؤيا عجيبة.....

رأيت كأنني في قصر فخم تحيطه الحجاب والحرس تتراءى حوله، وفي أبهائه الفاتنة شتي ألوان النعيم والثراء.... وكنت جالس علي أريكة عاليه أو منبر عالي لا اذكر الحقيقة تمام..... لكنني واثق كل الثقة أن المنصة التي اقتعدتها أعمدتها ملوثه بالأوحال، ويدي هي الأخرى ملوثة بشيء يشبه الروث، وكلما حاولت تنظيفها عادت كما كانت لا ادري كيف كان يحدث ذالك.... وتلفت أين العبد الأعجمي؟ لأعذبنه عذاب شديد أو لأذبحنه يجب أن يأتي فورا ومعه الشراب الأسود والكأس السوداء والسائل الأسود لكني طربت كثيرا حين ما لمحت صوتا معلق في حزام حول وسطه، فوثبت من فوق الكرسي واختطفته السوط وأهويت به في تشف عجيب، ولذة مجنونه.... وحول المنصة تراءى له خلق كثير، وكانت وجوه متشابه في ملامحها وسمرتها.... ونظراتهم جميعا مصوبتة إلي، وكأنها سهام ترشقني، والجفون منتفخة تجحظ منها عيون محترقة بالعذاب.... ولمحت من بعيد رجلا يقدم علي في خطوات رزينة، وفوق رأسه تاج يشع كما تشع المئذنة من بعيد.... واقترب الرجل مني وقد ملأتني الدهشة، وأنا أراه يتخطر في شموخ وكبرياء والناس يرمقونه من كل جانب، ورأيت نظراتهم تفيض بالحنان نحوه، فرأيتني اصرخ طالبا العبد الأعجمي..... أيها الوقح من هذا الرجل ؟.... هذا

(١) راجع الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر د/ محمد فتوح احمد دار المعارف سنه ١٩٧٧صـ١٤٢، والتفسير النفسي للأدب د/ عز الدين إسماعيل صـ٥٧ دار العوده بيروت سنه ١٩٧٢..

زين العابدين بن الحسين... عليّ به في الحال.... سوقوه إلي دون شفقه.... وملأت الكأس بالشراب اللزج الأسود... اشرب.... سوف تشرب، فتناول الكأس من دون انفعال وتمتم " ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما.. وغمرتني الدهشة وأنا أري الكأس الأسود يتحول في يده إلي كأس بلوري شفاف، مضيء كما تضئ العمامة...." (١).

وهكذا استخدم الكاتب الحلم، وكأنه منولوج داخلي لما سيقابل بطل القصة في حياته، فالكأس الأسود يمثل الظلم والعسف الذي سقاه هشام للرعية خاص للمناوئين لبني أميه والعبد الأسود هو نفسه الذي جاء في نهاية القصة عندما وقف هشام إمام دار مروان، وكأن نفس المشهد يتكرر في اليقظة تكرر ليشرب هشام من الكأس التي سقي الناس منها، حتي مشهد النهاية الأليم الذي عبرت عنه الرؤية أصبح حقيقة "إذ صاح العبد فيّ اشرب... نفس الكأس، فدفعت الكأس بيدي وانأ أتوعده، لكنه تناول سوطه واهوي علي وجهي في قسوة مؤلمة..... ويا لها من كأس.... كانت لزجه نتنه الرائحة..... مره المذاق.... وقال العبد

- لا تجزع..... ماذا تفعل لو علمت انك ستشرب ألاف الكؤوس ؟
- آلاف الكؤوس.....؟
- اجل انظر إلي هذا الحشد الحاشد... ونظر الكؤوس التي معهم سوف تشربها جميعا
- سوف تنفجر أمعائي
- ولم لم تفكر في أمعاء الآخرين من قبل....؟
- لأني.... لأني
- لأنك أناني..... حقير.... وظالم يا هشام يا بن إسماعيل المخزومي..... (٢).
- وإذا كان الحلم في قصه دموع الأمير قد كشف عن الصراع النفسي

(١) دموع الأمير ص٣١.

(٢) المرجع السابق صـ ٢٤ – ٣٠.

الذي يملا نفس الظالم، فإن الحلم في قصه " صانع الرجال " جاء ليرمز إلي التحول من الشرك إلي الإيمان، فها هو سعد ابن أبي وقاص قبيل إسلامه يري منام لم يدرك مدلوله إلا بعد إيمانه " لقد رأي في منامه كأنه في ظلمات مدلهمة لا يكاد يميز فيه أي شئ، فالسواد يغلف الوجود من حوله، ويتمس المعالم، والضيق قد اخذ بنفسه كل مأخذ، وأحس سعد آنذاك كأن هناك أيدي خفيه تطبق علي عنقه وتكتم أنفاسه، وفجأة يظهر في الظلمات قمر ساطع منير بدد جحافل الظلام، وملأ الوجود من حوله ضياء باهرا، ولأول وهلة شعر سعد أن ألآمه وضيقه وهواجسه قد ذابت وان نفسه تغتسل بهذا الفيض النوراني، ورأي سعد أن القمر يتحرك فأنطلق سعد خلفه مبهورا وكأن قوه عليا تدفعه إلي الأمام دفعا، لكنه أبصر قوما قد سبقوه إلي المسير.... (١).

ويلاحظ علي أسلوب الكاتب في استخدامه للحلم أو الرمزي أن الكلمة دقيقه قادرة علي حمل المعني وإشعاعاته، ولعل استخدام الكاتب للرمزي والحلم يكسب قصته حيوية وجمالا وقدره علي التأثير، الأمر الذي جعل القصص تحمل طاقه هائلة من الشاعرية جعلها لا تفقد متعتها مهما تعددت القراءة

الزمان والمكان:

الزمن والمكان من أكثر عناصر البناء الفني أهمية في القصة، فلابد للأحداث أن تتحرك حركة زمانية ومكانية محددة فكل قصة تدور طولا في إطار تاريخ محدد، وعرضا في حدود بيئة معينة(٢).

والحق أن اهتمام القاص بالزمان والمكان لم يعد تصويرا للبيئة بقدر ما أصبح الشكل عنصراً فاعلاً في الأحداث، ومن ثم فقد تخلص من السلبية والحيادية، وارتبط المكان بالزمن بالوصف ارتباطا وثيقا، إذ أن حركة الأحداث الزمنية لابد، وأن يتبعها حركة مكانية، والنص السردي الي جانب ما يحتويه من الحركات والأحداث.

(١) صانع الرجال ص ٨٤.

(٢) دراسات في نقد الرواية د / طه وادي ط الهيئة العامة للكتاب ص٣٥.

والممعن في قصص مجموعة " دموع الأمير " يلمس تنوع المكان والزمان، ففي عصر بني أميه يتحرك الزمان من نهاية حكم عبد الملك بن مروان إلى حكم الوليد بن عبد الملك في قصة "دموع الأمير " حيث تدور الأحداث ما بين قصر الأمير وشوارع المدينة، ولما كان للمكان أهمية بدأ به الكاتب حيث تبدأ القصة بوصف القصر ((القصر الذي يعيش فيه قصر فخم، تضوع في جنباته الروائح الشذية وحجراته مفروشة بالأثاث الجميل الذي يتناسب مع عظمة والي المدينة.....)) [١].

كما جاء توظيف الزمان بما يجسد الأحداث ويصور انفعالات الشخصيات، ويتضح ذلك من قوله "... وانتصف النهار... ثم اصفر الأصيل، وساد الأفق شحوبً ووجوم وغبار، عندئذ رأى الناس زين العابدين، وقد جاء حوله جمع من مواليه وأهل بيته[٢].

فالزمان هنا " انتصف النهار، ثم اصفر الأصيل" يوحي بنهاية هشام المخزومي فما اصفرار الأصيل، والشحوب، والوجوم، والغبار، إلا مؤشرات بتبدل الحال،فإذا كان وصف المكان في بداية القصة بيان حال الرفاهية التي يحياها هشام المخزومي، فالزمان في نهاية القصة يمثل ما آل إليه حال هشام وفي قصة "أبو معزي" يسلط الكاتب الضوء على الزنزانة التي يحبس فيها "أبو معزي" حيث تبدأ القصة بوصف الزنزانة، وتنتهي أحداث القصة بذكر الزنزانة" فالزنزانة صامته كالقبر وظلامها دامس مكفهر كوجه الشيطان[٣]. "والحق أن تحديد حقبة تاريخية معينة كفيلة عند ذكرها أن تنقل المتلقي إلي عالم آخر،وكفيلة وحدها ـإن أراد الكاتب . أن تنقل المتلقي إلي عالم خاص من التعاليم،فالزمان يضيف أبعادا لامتناهية على القصة فاختيار زمن معين كالنهار أو الليل يعطي للحدث بعدا جديدا، فالكاتب عندما يختار منتصف الليل مثلا،فإن ذلك ينقل المتلقي إلي

(١) قصة دموع الأمير ص ١٢.

(٢) دموع الأمير ص٤٢.

(٣) قصة أبو معزى من مجموعة دموع الأمير ص٦٩.

جو الرهبة والخوف،أما بخصوص المكان فمن خلال استخدام أدوات القص يمكن أن نعرف ماهية المكان الذي تدور فيه أحداث القصة،وهل هو مكان مفتوح أم ضيق مغلق.

ولهذا دور مهم في تهيئة الجو الخاص للمتلقي،خاصة إذا كان القاص يمتلك أدوات الوصف بشكل جيد فالزمان والمكان مرتبطان في العمل القصصي.

والممعن في قصة مجموعة "دموع الأمير" يلمس تعدد الزمان والمكان بين صدر الإسلام حيث مكة مهبط الرسالة في قصة "صانع الرجال"، وشوارع المدينة في "دموع الأمير"، وجو الصحراء في "القلب الكبير" و الكوفة ودمشق في " الإمام الأعظم "، وسلطان العلماء وعلى أبواب دمشق "، ثم إلى الجزائر في "أبو معزى " فالمكان والزمان وظف في المجموعة حتى لا يكادا أن يتقاسما مع بطل القصص دور البطولة، وهما جزء لا يتجزأ من البناء القصصي، ولا يمكن تصور شخصيات القصة وأحداثها إلا مع المكان والزمان الذي دارت فيه الأحداث، وعاشت فيه الشخصيات، ولعل للطابع التاريخي الذي ميز قصص المجموعة أثره في ذلك.

الخاتمة

وبعد هذه القراءة النقدية لمجموعة "دموع الأمير " يمكننا أن نخلص إلى النتائج التالية:

- أن استلهام الكاتب للتراث قصد به إكساب التجربة القصصية لونا من القداسة، فالكاتب استخدم التراث ليتوصل به إلى وجدان الأمة مما أضفى على تجربته نوعاً من الأصالة الفنية عن طريق الشمول.
- استخدام الكاتب للحدث التاريخي لم يمنعه من إعمال رؤيته وخياله حيث حافظ الكاتب على مصداقية الأحداث، وأكسبها حيوية ودِفْأً، وهذا حق مكفول للأديب فلم يقل أحد بضرورة التزام الكاتب بتفاصيل الأحداث التاريخية، إنه ملزم بالأحداث الكبرى التي يصدم الخروج عليها مشاعر الجماهير وما عدا ذلك فهو حر اختياره وترتيبه وفقاً للهدف الذي يريد تحقيقه.
- نوع الكاتب موضوعات مجموعته القصصية ما بين قصص تناقش قضية العدالة الاجتماعية وأخرى تتناول دور العلماء في إعداد الأمة كما ذكر صور الجهاد، والكاتب وإن نوع في موضوعات قصصه إلا أن هناك خيط يربط قصص المجوعة يتمثل في الاتجاه التاريخي للأحداث التي دارت في فلكها القصص، وكذلك هناك رابط الجهاد فكل قصة تصور جانباً من جوانب الجهاد ما بين جهاد النفس، جهاد الهوى، جهاد الشيطان، جهاد الدنيا، والجهاد بالنفس والمال والكلمة.
- تميز الكيلاني في تصوير المواقف الجهادية واختياره للشخصيات المجاهدة ليحقق الغرض المنشود، وهو تذكير الأمة بماضيها المشرق، ولذا اختار من الأحداث ما يتوافق مع حاضر الأمة، ومن هنا عاش القارئ واقعية الأحداث إلى جانب تراثيتها.
- يغلب على أحداث القصص الاتجاه السياسي وإن لم ينس الكيلاني الجانب

الاجتماعي كما في قصص "القلب الكبير " و "رجل في المنفى" .

- إن استخدام الكاتب للتراث وللغة الفصحى لم يحل بينه وبين إجادة استخدام فنيات القصة من (حوار – شخصيات – صراع – زمان ومكان....) مما يدل على أن إسلامية الفن لا تعوق فنيته، فالمرجع يعود إلى تمكن الفنان من أدواته، وما إسلامية الأدب أو الفن إلا عاملا من عوامل نجاحه إذا ما أحسن الكاتب توظيف أدواته.

فهرست المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
١ - الأدب وفنونه د / محمد مندور طبعة دار نهضة مصر سنة ١٩٧٧م.
٢ - البناء الدرامي د/ عبد العزيز حمودة طبعة دار البشير عمان الأردن ١٩٨٨م .
٣ - التفسير النفسي للأدب د/ عز الدين إسماعيل طبعة دار العودة بيروت سنة ١٩٧٢ م.
٤ -الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون د/ طه عبد الفتاح مقلد مكتبة الشباب سنة ١٩٩٢م.
٥ – دراسات في نقد الرواية د/ طه وادي طبعة الهيئة العامة للكتاب.
٦ - الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر د/ محمد فتوح أحمد دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٧م .
٧ -الراوي والأرض د/ عبد المحسن بدر طبعة دار المعارف سنة ١٩٨٣م ٨ - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي العاصر د/ على عشري زايد دار الفكر العربي القاهرة ١٤١٧هـ.
٩ - فن القصة القصيرة د / محمد يوسف نجم طبعة دار ثقافة لبنان.
١٠ - الفوائد لابن القيم الجو زيه د/ ماهر عبد الرازق، كمال الجمل طبعة دار اليقين مصر ١٤١٧هـ.
١١ - في الأدب أ/ توفيق الحكيم طبعة دار مصر للطباعة ١٩٧٧م.
١٢ -في النقد المسرحي د/ محمد غنيمي هلال طبعة دار نهضة مصر ١٩٥٥ ./
١٣ - مجلة الأدب الإسلامي العددين التاسع والعاشر (رجب ذو الحجة) ١٤١٦هـ,
١٤ - مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد ١٦ لسنة ١٩٩٧م ج١.
١٥ - مجموعة دموع الأمير القصصية د / نجيب الكيلاني مكتبة وهبة ١٩٦٢ م .

١٦ -مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ديفيد تش ترجمة د / محمد يوسف نجم طبعة دار صادر بيروت.

١٧ -مدخل إلى الأدب الإسلامي د / نجيب الكيلاني طبعة دار ابن حزم بيروت ١٩٨٤م.

١٨ -المرايا المتجاورة دراسة في نقد د / طه حسين للدكتور جابر عصفور طبعة دار قباء للطباعة ١٩٩٨م .

١٩ -المسرح الشعري بعد شوقي د / محمد عبد العزيز الموافي طبعة نادي المدينة المنورة الأدبي ١٩٩٠م.

٢٠ -المسرحية من خلال تجاربي أ / على أحمد باكثير معهد الدراسات العربية العالمية ١٩٥٨م.

٢١ -المسرحية نشأتها تاريخها وأصولها د / عمر الدسوقي مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٧م.

٢٢ -معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية د / إبراهيم حمادة طبعة دار المعارف ١٩٩١م.

٢٣ -النقد الأدبي أصوله ومناهجه سيد قطب طبعه دار بيروت سنة ١٩٦١م .

٢٤– يوسف إدريس والفن القصصي د/ عبد الحميد القط دار المعارف القاهرة سنة ١٩٨٠م